عُلُوُّ الهِمَّةِ في قِصَرِ الأَمَل والمُبَادَرة إلى العَمَل

قِصَر الأمل:

اعلم يا أخي أن قصر الأمل دافعٌ إلى خير العمل.. وهناك آيات قرآنية وأحاديث نبويّة عطرات تحثُّ على قِصَر الأمل، تُرهِّب وتنفِّر من طول الأمل، نسرد بعضها:

* قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

* وقال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بِمنكِبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل**»[1].

□ وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إذا أمسيتَ، فلا تنتظر الصباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساءَ، وَخُذْ من صِحَّتِكَ لمرضِكَ ومن حياتك لموتك»[2]، فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمُكَ غدًا.

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ما حَقُّ امْرِيءٍ مُسْلم ـ له شيءٌ يُوصي فيه ـ يبيتُ لَيْلَتَيْن إلَّا وَوَصِيَّتُه مَكتوبةٌ عنده**»، وفي رواية لمسلم: يبيتُ ثلاثَ ليالٍ.

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦)، والترمذي (٢٣٣٣)، وابن ماجه (٤١١٤).

(٢) متفق عليه: وهذا لفظ البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧).

□ قال ابن عمر رضي الله عنهما: «مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ منذُ سمعتُ رسول الله ﷺ قال ذلك إلَّا وعندي وَصِيَّتي»(١).

• وعن أنس رضي الله عنه قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا فقال: «**هذا الإنسانُ، وهذا أَجَلُهُ، فبيْنَما هو كَذلك إذْ جاء الخطُّ الأقربُ**»(٢).

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه ال: خَطَّ النبي ﷺ خطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا في الوَسَطِ خارجًا منه، وَخَطَّ خُطُوطًا صِغَارًا إلى هذا الذي في الوَسَطِ من جَانبِهِ الذي في الوَسَطِ، فقال: «**هذا الإنسانُ، وهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطًا به -أوْ قَدْ أَحاطَ به- وهذا الذي هو خَارجٌ أَمَلُهُ وهذه الخُطَطُ الصِّغَار الأعراضُ، فإنْ أَخطأَهُ هذا نَهَشَه هذا، وإنْ أخطأه هذا نهشه هذا**»(٣).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا ذكر هَاذِمِ اللَّذّات**». يعني: الموت.

• وقال رسول الله ﷺ: «**أكثروا ذكرَ هاذِمِ اللَّذَّات: الموت؛ فإنه لم يذكُرُه أحدٌ في ضيق من العيش إلَّا وَسَّعَه عليه، ولا ذَكَرَه في سَعَةٍ إلَّا ضَيَّقها عليه**»(٤).

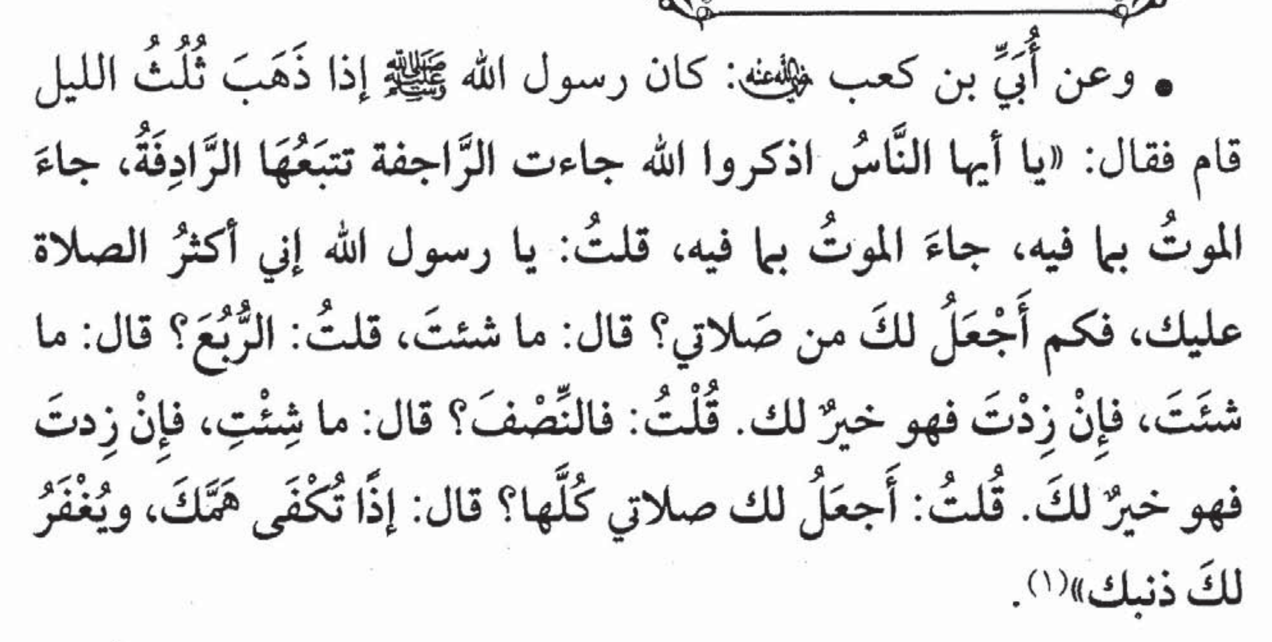
---

(١) رواه البخاري (٦٤١٨).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٧)، والترمذي (٢٤٥٤)، وسنن ابن ماجه (٤٢٣١).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (١٨٢٤)، وابن ماجه، وأبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمر، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة، والطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم في «الحلية» والبيهقي في «شُعب الإيمان» في أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢١٠).

(٤) حسن: رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، وابن حبان عن أبي هريرة، والبزار عن أنس، وحسَّنه الألباني.في «الإرواء» (٦٨٢)، و«صحيح الجامع» (١٢١١).



• وعن أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا ذَهَبَ ثُلُثُ الليل قام فقال: «يا أيها النَّاسُ اذكروا الله جاءت الرَّاجفة تتبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جاءَ الموتُ بما فيه، جاءَ الموتُ بما فيه، قلتُ: يا رسول الله إني أكثرُ الصلاة عليك، فكم أَجْعَلُ لكَ من صَلاتي؟ قال: ما شئتَ، قلتُ: الرُّبُعَ؟ قال: ما شئتَ، فإِنْ زِدْتَ فهو خيرٌ لك. قُلْتُ: فالنِّصْفَ؟ قال: ما شِئْتِ، فإِنْ زِدتَ فهو خيرٌ لكَ. قُلتُ: أَجعَلُ لك صلاتي كُلَّها؟ قال: إذًا تُكْفَى هَمَّكَ، ويُغْفَرُ لكَ ذنبك»[١].

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: مَرَّ عَلَيْنَا رسولُ الله ﷺ ونحنُ نُعَالِجُ خُصًّا لنا، فقال: ما هذا؟ فَقُلْنَا: قَدْ وَهِيَ فنحْنُ نُصْلِحُه، فقال: «ما أرى الأمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذلك»[٢].

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نَجَا أَوَّلُ هذه الأمَّةِ باليقين والزُّهْد، ويَهْلِكُ آخِرُها بالبُخْل والأمل»[٣].

• وقال رسول الله ﷺ: «صلاحُ أَوَّلِ هذه الأمَّةِ بالزُّهد واليقين، ويهلِكُ آخرُها بالبُخْلِ والأَمل»[٤].

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي (٢٤٥٧)، والحاكم في «المستدرك»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٥٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٨٦٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٢٣٥)، والترمذي (٢٣٣٥) بإسناد البخاري ومسلم قاله النووي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٥٢٦)، و«تخريج المشكاة» (٥٢٧٥).

(٣) حسن: رواه ابن أبي الدنيا، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٧٤٦).

(٤) حسن: أخرجه أحمد في «الزهد» والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمرو، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٨٤٥).

• وقال رسول الله ﷺ: «الشيخ يَضعُفُ جسمهُ؛ وقلبُه شابٌّ على حب اثنتيْن: طولِ الياة، وحُبِّ المالِ»[١].

• وقال ﷺ: «قلبُ الشيخ شابٌّ على حُبِّ اثنتيْن: حُبِّ العيشِ، والمال»[٢].

• وقال رسول الله ﷺ: «قلبُ الشيخ شابٌّ على حُبِّ اثنتيْن: طول الحياةِ، وكثرةِ المال»[٣].

• وقال رسول الله ﷺ: «لا يُزالُ قلبُ الكبير شابًّا في اثنتيْن: في حُبِّ الدنيا، وطولِ الأملِ»[٤].

• وقال ﷺ: «يَهْرَم[٥] ابن آدم، ويبقى معه اثنتان: الحرصُ والأمل»[٦].

• وقال ﷺ: «يَهْرَمُ ابن آدم، ويَشِبُّ[٧] فيه اثنتان: الحرص على المال والحرص على العمر»[٨].

• وقال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسًا قبلَ خمسٍ: حياتكَ قبل موتِكَ،

---

(١) حسن: رواه عبد الغني بن سعيد في «الايضاح» عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٩٠٦)، و«صحيح الجامع» (٣٧٤٩).

(٢) رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذي والحاكم عن أبي هريرة، وابن عدي وابن عساكر عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٠٨)، و«الصحيحة» (١٩٠٦).

(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة.

(٥) يهرم: يكبر ويشيب.

(٦) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن أنس.

(٧) أي يكون كالشاب.

(٨) رواه مسلم، والترمذي، وابن ماجه عن أنس.

وصحَّتَكَ قبل سقمك، وفراغَكَ قبل شغلِكَ، وشبابَكَ قبل هرمكَ، وغناكَ قبل فقرك»[١].

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما لي وللدُّنيا! ما أنا في الدنيا إلَّا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرة، ثم راح وتركها»[٢].**

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما لي وللدنيا، وما للدنيا وما لي! والذي نفسي بيده، ما مَثَلي ومثل الدنيا، إلَّا كراكب سار في يومٍ صائف، فاستظلَّ تحت شجرة ساعة من النهار، ثم راح وتركها»[٣].**

• وعن أبي جبيرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بُعِثتُ في نَسَيم الساعة»[٤].**

• وقال رسول الله ﷺ: **«بُعِثْتُ أنا والساعةَ كهاتيْن»[٥].**

---

(١) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٠٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن سعد، وابنَ المبارك في «الزهد»، وأحمد في «الزهد»، وأبو نعيم في «الحلية» والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عمرو بن ميمون مرسلاً، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وقال الإمام العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٧٧).

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «مسنده»، والترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، والحاكم في «المستدرك»، والضياء في «المختارة»، وابن أبي الدنيا في «أم الدنيا»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٣٨)، و«صحيح الجامع» (٥٦٦٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٣٩)، و«صحيح الجامع» (٥٦٦٩).

(٤) صحيح: رواه الحاكم في «الكُنى»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٠٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٨٣٢).

(٥) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي عن أنس، وأحمد، والبخاري، =

• وقال ﷺ: «**نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحَّة والفراغ**».

• وقال رسول الله ﷺ: «**مَن خاف أدلج، ومَن أدلج بلغ المنزل، ألَا إنَّ سلعة الله غالية، ألَا إن سلعة الله الجنة**».

السبب في «طول الأمل» وعلاجه:

□ قال الغزَّالي: «اعلم أن طولَ الأمل له سببان، أحدهما: الجهل، والآخر: حب الدنيا.

□ **أمَّا حب الدنيا:** فهو أنه إذا أَنِس بها وبشهواتها ولذَّاتها وعلائقها، ثقُل على قلبه مفارقتُها، فامتنع قلبُه من الفكر في الموت الذي هو سببُ مفارقتها، وكلُّ مَن كَرِه شيئًا دفعه عن نفسه، والإنسانُ مشغوفٌ بالأماني الباطلة، فيُمَنِّي نفسه أبدًا بما يُوافقُ مرادَه، وإنما يُوافق مرادَه البقاءُ في الدنيا، فلا يزال يتوهَّمه ويقدِّرُه في نفسه، ويقدِّر توابعَ البقاء، وما يحتاجُ إليه من مالٍ وأهلٍ ودارٍ وأصدقاءَ ودوابَّ -وسائر أسباب الدنيا-، فيصيرُ قلبُه عاكِفًا على هذا الفكر موقوفًا عليه، فيلهو عن ذكر الموت، فلا يقدِّرُ قُربَه، فإن خطر له في بعض الأحوال أمرُ الموت والحاجةُ إلى الاستعداد له، سوَّف، ووعد نفسه وقال: الأيَّام بين يديك إلى أن تكبُرَ ثم تتوب، وإذا كبِر فيقول: إلى أن تصير شيخًا، فإذا صار شيخًا قال: إلى أن تفرُغ من بناء هذه الدار وعمارةِ هذه الضيْعة، أو ترجعَ من هذه السَّفْرَة، أو تفرغَ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبيرِ مسكن له، أو تفرغَ من قهر هذا العدوِّ الذي يشمتُ بك، فلا يزال يُسوِّف ويُؤخِّرُ، ولا يخوضُ في شُغل إلَّا ويتعلَّقُ بإتمام ذلك الشغل عشرةُ أشغال أُخر، وهكذا على التدرج يؤخِّرُ يومًا بعد

ومسلم عن سهل بن سعد.

يوم، ويُفضى به شغلٌ إلى شغل -بل إلى أشغال-، إلى تختطفَه المنيَّةُ في وقتٍ لا يحتسبُه، فتطولُ عند ذلك حسرته، وأكثرُ أهل النار صياحُهم من «سوف»، يقولون: واحُزناه من «سوف». والمُسَوِّف المسكين لا يدري أنَّ الذي يدعوه إلى التسويف اليومَ هو معه غدًا، وإنما يزدادُ بطول المُدَّةِ قوَّةً ورسوخًا، ويظنُّ أنه يتصوَّر أن يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغٌ قط وهيهات! فما يفرغُ منها إلَّا مَنْ طَرَحَها..

فما قضى أحدٌ منها لبانَتَهُ ... وما انتهى أربٌ إلَّا إلى أرب

□ **وأمَّا الجهل**: فهو أن الإنسانَ قد يعوِّل على شبابه، فيستبعدُ قُربَ الموت مع الشباب، وليس يتفكَّرُ المسكينُ أن مشايخ بلده لوْ عُدُّوا لكانوا أَقلَّ من عُشْرِ رجالِ البلد، وإنَّما قَلُّوا لأنَّ الموت من الشباب أكثر، فإلى أن يموتَ شيخٌ، يموت ألفُ صبيٍّ وشابٍّ، وقد يستبعد الموتَ لصحته، ويستبعد الموت فجأةً، ولا يدري أن ذلك غيرُ بعيد، وإنْ كان ذلك بعيدًا فالمرضُ فجأةً غير بعيد، وكلُّ مرضٍ فإنما يقعُ فجأةً، وإذا مرض لم يكن الموتُ بعيدًا.

ولو تفكَّر هذا الغافلُ، وعَلِم أن الموت ليس له وقتٌ مخصوصٌ من شبابٍ وشيبٍ وكهولة، ومن صيفٍ وشتاءٍ وخريفٍ وربيع، من ليل ونهار: لعظُم استشعاره، واشتغل بالاستعداد له، ولكنَّ الجهل -جهله الأمور وحب الدنيا- دَعَوَاه إلى طول الأمل، وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب، فهو أبدًا يظنُّ أن الموت يكون بينْ يديه، ولا يُقدِّر نزولَه به ووقوعه فيه، وهو أبدًا يظنُّ أنه يُشيِّعُ الجنائز، ولا يُقدِّر أن تُشيَّعَ جنازته؛ لأن هذا قد تكرَّرَ عليه وأَلِفَه وهو مشاهدةُ موت غيره، فأمَّا موتُ نفسه،

فلم يألَفْهُ، ولم يتصوَّرْ أَنْ يألفَه، فإنه لم يقع، وإذا وقع في دفعةٍ أخرى بعد هذه، فهو الأولُ وهو الآخر. وسبيلُه أن يقيس نفسَه بغيره، ويعلمَ **أنه لابُدَّ** وأن تُحملَ جنازته ويُدفن في قبره، ولعلَّ اللَّبِن الذي يُغطَّي به لَحْدُه **قد** ضُرِبَ وفُرِغَ منه وهو لا يدري، فتسويفه جهلٌ محض»[1].

علاج طول الأمل:

□ قال الغزَّالي رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا عرفتَ أن سببه [2] الجهلُ وحبُّ الدنيا، فعلاجه دفعُ سببه:

أما الجهل: فيُدفَع بالفِكر الصافي من القلبِ الحاضر، وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة.

وأما حبُّ الدنيا: فالعلاج في إخراجه من القلب شديد، وهو الداء العُضال الذي أعْيَا الأوَّلين والآخِرين علاجُه؛ ولا علاج له إلَّا بالإيمان باليوم الآخر، وبما فيه من عظيم العقاب وجزيلِ الثواب، ومهما حصُلَ له اليقينُ بذلك، ارتحل عن قلبه حبُّ الدنيا، فإنَّ حُبَّ الخطير هو الذي يمحُو عن القلب حبَّ الحقير.

فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسةَ الآخرة، استنكف أن يلتفتَ إلى الدنيا كلِّها وإنْ أُعطى مُلكَ الأرض من المشرق إلى المغرب، وكيف وليس عنده من الدنيا إلَّا قدْرٌ يسير مُكَدَّرٌ مُنَغَّصٌ، فكيف يفرحُ بها أو يترسَّخُ في القلب حبُّها مع الإيمان بالآخرة؟ فنسألُ الله تعالى أن يُرِيَنا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده. ولا علاجَ من تقدير الموت في القلب مثلُ النظر إلى

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٨٥).

(٢) أي: سبب طول الأمل.

من مات من الأقران والأشكال، وأنهم كيف جاءهم الموتُ في وقتٍ لم يحتسبوا. أمَّا من كان مستَعِدًّا، فقد فاز فوزًا عظيمًا، وأمَّا من كان مغرورًا، فقد خَسِر خُسْرَانًا مبينًا.

فلينظر الإنسانُ كلَّ ساعةٍ في أطرافه وأعضائه، ولْيتدبَّر أنها كيف تأكلُها الديدان لا محالِة؟ وكيف تتفتَّت عظامُها؟ فما على بدنِه شيءٌ إلَّا وهُو طُعمةُ الدودِ، وما لَهُ من نفسه إلَّا العلمُ والعمل الخالص لوجه الله تعالى.

وكذلك يتفكَّر في عذاب القبر وسؤال منكَر ونكير، وفي الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرْع النداء يوم العرض الأكبر، فأمثالُ هذه الأفكار هي التي تُجَدِّدُ ذكرَ الموتِ على قلبه، وتدعوه إلى الاستعداد له»[1].

مراتب الناس في طول الأمل وقصره:

□ قال الغزَّالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن الناس في ذلك يتفاوتون؛ فمنهم من يأملُ البقاء ويشتهي ذلك أبدًا. قال الله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦].

ومنهم مِن يأمل البقاء إلى الهَرَم -وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه- هو الذي يحبُّ الدنيا حُبًّا شديدًا، ومنهم مَن يأملُ إلى سَنَةٍ، فلا يشتغل بتدبير ما وراءها، فلا يقدِّرُ لنفسه، وجودًا في عامٍ قابِل، ولكن هذا يستعِدُّ في الصيف للشتاء، وفي الشتاء للصيف، فإذا جمع ما يكفيه لسَنته اشتغل بالعبادة، ومنهم مَن يأملُ مدَّةَ الصيف أو الشتاء، فلا يدَّخر في الصيف ثيابَ الشتاء ولا في الشتاء ثيابَ الصَّيْف،ومنهم مَن يَرْجِعُ أملُه إلى يومٍ وليلة، فلا يستعِدُّ إلَّا لنهاره وأمَّا للغَدِ فَلَا.

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٨٥- ٤٨٦).

• قال عيسى عليه السلام: «لا تهتمُّوا برزق غدٍ، فإن يكن غدٌ من آجالكم، فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم، وإن لم يكن من آجالكم، فلا تهتمُّوا الآجال غيركم».

ومنهم من لا يجاوزُ أمَلُه ساعةً، كما قال نبينا ﷺ: «**يا عبدَ الله، إذا أصبحتَ، فلا تُحدِّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت، فلا تُحدِّث نفسك بالصباح**».

ومنهم مَن لا يُقدِّرُ البقاءَ أيضًا ساعة، ومنهم مَن يكون الموتُ نُصْبَ عينيه كأنَّه واقعٌ به فهو ينتظره، وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاةَ مُوَدِّع كما نُقل عن الأسود وهو حبشيٌّ أنه كان يصلِّي ليلًا، ويلتفت يمينًا وشمالًا فقال له قائلٌ: «ما هذا؟ قال: أنظر ملَكَ الموت من أيِّ جهةٍ يأتيني».

فهذه مراتبُ الناس، ولكلٍّ درجاتٌ عند الله، وليس مَن أملُه مقصورٌ على شهر كمَن أملُه شهرٌ ويوم، بل بينهما تفاوتٌ في الدرجة عند الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾[النساء]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة].

ثم يظهرُ أثرُ قِصَرِ الأمل في المبادرة إلى العمل، وكلُّ إنسانٍ يدَّعي أنه قصيرُ الأمل -وهو كاذب-، إنما يظهر ذلك بأعماله، فإنه يعتني بأسبابٍ ربما لا يحتاج إليها في سنة، فيدلُّ ذلك على طول أمله. وإنما علامةُ التوفيق أن يكون الموتُ نُصْبَ العين، لا يغفُل عنه ساعة، فلْيستعدَّ للموت الذي يَرِدُ عليه في الوقت، فإن عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته، وفرح بأنه لم يُضيِّع نهاره، بل استوفى منه حظَّه وادَّخره لنفسه، ثم يستأنفُ مثله إلى الصباح، وهكذا إذا أصبح. ولا يتيَسَّر هذا إلَّا لِمَن فَرَّغَ القلب من الغَدِ

وما يكونُ فيه، فمثل هذا إن مات سَعِد، وإنْ عاش سُرَّ بحسن الاستعداد ولذَّة المناجاة؛ فالموتُ له سعادَة والحياة له مزيد، فليكن الموتُ على بالك يا مسكين، فإن السير حاثٌّ بك وأنت غافلٌ عن نفسك، ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلكم إلَّا بمادرة العمل اغتنامًا لكل نَفَسٍ أُمهِلْت فيه».

أقوال عَطِرَات في قِصَر الأمل والمبادرات إلى الخَيْرات:

□ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن أخوفَ ما أخافُ عليكم اثنتانِ: أتباع الهوى، وطول الأمل.

- فأما اتباع الهوى: فيصدُّ عن الحق.
- وأما طول الأمل: فيُنسي الآخرة.

ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مُقبلة.

ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مُدبرة.

ولكل واحدٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل»[(١)].

□ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «هذا المرءُ، وهذه الحُتوف حوله شوارعُ إليه، والهَرَمُ وراء الحتوف، والأملُ وراء الهرم، فهو يأمَل، وهذه الحتوف شوارعُ إليه، فأيها أُمِرَ به أخذه، فإن أخطأته الحتوفُ قتله الهرم، وهو ينظر إلى الأمل»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»- كتاب الرِّقاق، باب في الأصل وطوله (٧/ ١٧٠- ١٧١)، وأحمد في كتاب «الزهد» (٢/ ٤٧- ٤٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧٦).

(٢) «قصر الأمل» لابن أبي الدنيا (ص٣٣)- تحقيق محمد خير رمضان يوسف- =

□ وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال:
«ثلاثٌ أعجبتني، ثم أضحكتني!:
- مؤمِّلُ الدنيا والموتُ يطلبه.
- وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه.
- وضاحكٌ ملءَ فيه ولا يدري أساخطٌ ربُّ العالمين عليه أم راضٍ عنه.

وثلاثةٌ أحزنتني حتى أبكتني:
- فراقُ محمدٍ ﷺ وحزبِه والأحبة.
- وهولُ المطَّلَع.
- والوقوفُ بين يدي ربي، لا أدري إلى الجنة يُؤْمَرُ بي أو إلى النار»[١].

□ وعن يزيد بن شريك التيمي قال: «خرجنا حُجَّاجًا، فوجدنا أبا ذرٍّ بالرَّبْذَة[٢] قائمًا يُصلِّي. فانتظرناه حتى فرغ من صلاته، ثم أقبل علينا، فقال: هلمَّ إلى الأخ الناصح الشفيق. ثم بكى، فاشتدَّ بكاؤه، وقال: قتلني حبُّ يومٍ لا أدركه! قيل: وما يومٌ لا تدركه؟ قال: طول الأمل»[٣].

□ وعن أبي عثمان النهْدي[٤] قال: «قد بلغتُ ثلاثين ومئةَ سنةٍ، فما

دار ابن حزم، «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٠).

(١) «الزهد» لأحمد (٢/ ٩٠)، و«حلية الأولياء» (١/ ٢٠٦)، و«قصر الأمل» (ص٤٠ - ٤١)، و«اتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٢٤٠).

(٢) من قرى المدينة، قريبة مِن ذات عرق على طريق الحجاز.

(٣) «قصر الأمل» (ص٦٧ - ٦٨).

(٤) هو عبد الرحمن بن ملّ «الميم بالحركات الثلاث» بن عمرو النهدي الكوفي، سكن البصرة. أدرك الجاهلية، وأسلم على عهد النبي ﷺ، وصدَّق إليه، ولم =

مِنِّي شيءٌ إلَّا قد عرفتُ فيه النقصان إلَّا أملي، فإنه كما هو»[(١)].

◻ وقال مالكُ بن مِغوَل [(٢)]: «يُقالُ: مَن قَصَرَ أَمَلَهُ هان عليه عيشه».

◻ قال سفيان: «يعني في المطاعِم والملابس»[(٣)].

◻ وقال محمد بن النَّضْر الحارثي [(٤)] يقول: «إلى الله أشكو طولَ أملي، وعند الله أحتسبُ عظيم غفلتي»[(٥)].

◻ وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال في بعض خطبه: «إن لكلِّ سفرٍ زادًا لا محالة، فتزوَّدوا لسفركم في الدنيا إلى الآخرة بالتقوى.

وكونوا كمن عاينَ ما أعدَّ الله من ثوابه وعقابه، ترغبون وترهبون.

يلقه. كان من ساكني الكوفة، فلما قُتل الحسين تحول إلى البصرة وقال: لا أسكن بلدًا قُتل فيه ابن بنت رسول الله ﷺ. وقال معتمر بن سليمان: كان أبو عثمان النهدي يصلي، فربما صلى حتى يُغْشى عليه، وكان له يتامى يحضرون طعامه، فوقع الطاعون فماتوا، فكان يقول: مات أصحابي. ت ١٠٠هـ. «تهذيب الكمال» (١٧/ ٤٢٤- ٤٣٠).

(١) «قِصَر الأمل» (ص٣٧).

(٢) مالك بن مغول بن عاصم البجلي الكوفي، أبو عبد الله، كان من سادة العلماء، وثّقه ابن معين والإمام أحمد. وقال العجلي: رجل صالح. مبرِّز في الفضل. وروى سفيان بن عيينة رحمه الله قال: قال رجل لمالك بن مغول: اتق الله! فوضع خدَّه بالأرض! ت ١٥٩هـ «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٧٤- ١٧٦).

(٣) «قصر الأمل» (ص٤٤- ٤٥).

(٤) كان من أعبد أهل الكوفة.. وقد انشغل بالعبادة عن الرواية، وأرسل الأحاديث عن النبي ﷺ ولم يصلها. قال ابن المبارك: كان محمد بن النضر إذا ذُكر الموت اضطربت مفاصله حتى تبين الرعدة فيها! «صفة الصفوة» (٣/ ١٥٩- ١٦٠).

(٥) «قصر الأمل» (ص٤٧).

ولا يطولنَّ عليكم الأمل فتقسوَ قلوبُكم، وتنقادوا لعدوكم، فإنه والله ما بُسِطَ أَمَلُ مَنْ لا يدري لعله لا يُصبح بعد مسائه، ولا يمسي بعد صباحه. وربما كانت بين ذلك خَطَفَات المنايا!

فكم رأيتُ ورأيتم مَنْ كان بالدنيا مغترًّا!

فكم رأيتُ ورأيتم مَنْ كان بالدنيا مغترًّا!

وإنما تَقَرُّ عينُ من وثق بالنجاة من عذاب الله.

وإنما يفرح من أَمِنَ أقوال القيامة.

فأما مَنْ لا يداوي كَلْمًا، إلَّا أصابه جارح من ناحية أخرى فكيف يفرح!

أعوذ بالله أن آمرَكم بما أنهى عنه نفسي، فتخسرَ صفقتي، وتظهرَ عَوْلتي[١]، وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغنى والفقر، والموازين فيه منصوبة.

لقد عُنيتم بأمر لو عُنيت به النجومُ انكدرت، ولو عُنيت به الجبال لزالت، ولو عُنيت به الأرض لتشقَّقت.

أما تعلمون أن ليس بين الجنة والنار منزلة؟ وأنكم صائرون إلى أحدهما[٢]؟!».

□ وعن القعقاع بن عَجْلان قال: «خطب عمر بن عبد العزيز، فحمد

---

(١) العولة: رفع الصوت بالبكاء، والصياح، أو حرارة الحزن والحب من غير نداء ولا بكاء.

(٢) «قصر الأمل» (ص٥٠ ـ ٥١)، و«حلية الأولياء» (٥/ ٢٩١)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣).

الله تعالى أثنى عليه، وقال: أيها الناس، إنكم لم تُخْلَقوا عبثًا، ولن تُتركوا سُدى. وإن لكم معادًا يجمعُكم الله للحكم فيكم والفصل فيما بينكم؛ فخاب وشقيَ عبدٌ أخرجه الله من رحمته التي وسعت كلَّ شيء، وجنتِه التي عرضُها السماواتُ والأرض.

وإنما يكون الأمان غدًا لمن خاف اللهَ واتقى، وباع قليلًا بكثير، وفانيًا بباق، وشِقْوةً بسعادة.

ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفُ بعدكم الباقون؟.

ألا ترون أنكم في كلِّ يوم تشيِّعون غاديًا أو رائحًا إلى الله، قد قضى نَحْبَه، وانقطع أملُه، فيضعونه في بطنِ صَدْعٍ من الأرض، غير موسَّد ولا ممهَّد؟ قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب؟.

وايمُ الله إني لأقول لكم مقالتي هذه، وما أعلمُ عند أحدٍ منكم من الذنوب أكثرَ مما أعلم من نفسي؛ ولكنها سننٌ من الله عادِلةٌ، أَمَرَ فيها بطاعته، ونهى فيها عن معصيته. وأستغفر الله.

ووضع كُمَّهُ على وجهه، فبكى حتى لثقت [1] لحيته، فما عاد إلى مجلسه حتى مات رَحِمَهُ اللَّهُ [2].

□ وكتب محمدُ بن يوسف الأصبهاني [3] العابد إلى بعض إخوانه

(١) أي: ابتلَّت.

(٢) «قصر الأمل» (ص٦٦- ٦٧)، «حلية الأولياء» (٥/ ٢٩٥)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣).

(٣) هو محمد بن يوسف بن معدان الأصبهاني، أبو عبد الله، كان ابن المبارك يسميه «عروس الزهاد»، وكان لا يُعْرف بين الناس، ويقول: لعلهم يعرفوني فيُحابُوني، فأكون ممن يعيش بدينه، خرج في جنازة بالمصيصة، فنظر إلى قبر أبي

أَقْرِيءْ مَنْ أقرأتنا منه السلامَ السلامَ، وتزوَّد لأُخراك، وتجافَ عن دنياك، واستعدَّ للموت، وبادر الفوت، واعلم أن أمامك أهوالًا وأفزاعًا قد أَرْعَبَتِ الأنبياء والرسل، والسلام».

□ وقال عَونُ بن عبد الله بن عتبة [١].

ما أنْزَلَ الموتَ كُنْهَ منزلته مَنْ عَدَّ غدًا من أَجَله!

كم من مستقبِلٍ يومًا لا يستكمله!

وكم من مؤمِّل لغدٍ لا يدركه!

إنكم لو رأيتم الأجلَ ومسيرَه، لأبغضتم الأمل وغروره [٢]!

□ وقالوا لعون بن عبد الله: ما أنفعُ أيامِ المؤمن له؟

قال: يوم يلقى ربَّه، فيُعْلِمه أنه راض.

قالوا: إنما أردنا من أيام الدنيا.

قال: إن من أنفع أيامه له في الدنيا ما ظَنَّ أنه لا يُدرك آخرَه [١]!

إسحاق الفزاري ومخلد بن الحسين، وبينهما موضع قبر، فقال: لو أن رجلاً مات فدُفن بينهما! فما أتت عليه عشرة أيام أو نحوها حتىٰ دُفن في الموضع الذي أشار إليه! «صفة الصفوة» (٤/ ٨١- ٨٣).

(١) هو عون بن عبد الله بن عتبة الهذلي، أبو عبد الله، العابد الزاهد، ثقة، روىٰ له الجماعة سوىٰ البخاري. قال سفيان بن عيينة، عن أبي هارون موسىٰ بن أبي عيسىٰ: كان عون يحدثنا ولحيته تَرْتَش بالدموع. ومن أقواله: إن مَنْ كان قبلنا كانوا يجعلون لدنياهم ما فَضَل عن آخرتهم، وإنكم اليوم تجمعون لآخرتكم ما فَضَل عن دنياكم. «صفة الصفوة» (٣/ ١٠٠ ـ ١٠٤)، «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٤٥٣ ـ ٤٦١).

(٢) «قصر الأمل» (ص٥٦)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ١٠٣).

□ وقال عون بن عبد الله بن عتبة:

وَيْحِي! كيف أغفل عن نفسي ومَلَكُ الموت ليس بغافل عني؟!

وَيْحِي! كيف أتَّكل على طول الأمل والأَجَل يطلبني [٢]؟!

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كم من مستقبِلٍ يومًا لا يستكمله، ومنتظر غدًا لا يبلغه. لو تَنظرون إلى الأجل ومسيرِه، لأبغضتم الأمل وغروره».

□ وقال شُميط بن عجلان [٣] رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «إن المؤمنَ يقول لنفسه: إنما هي أيام ثلاثة:

- فقد مضى أمسِ بما فيه.
- وغدًا أملٌ لعلك لا تدركه، إنك إن كنتَ من أهل غدٍ فإن غدًا يجيء برزق غد، إن دون غدٍ يومًا وليلةً تُخترم فيه أنفسٌ كثيرة، لعلك المُخْتَرَم فيها. كفى كل يوم همُّه.

ثم قد حملتَ على قلبك الضعيف همَّ السنين والأزمنة، وهمَّ الغلاء والرَّخص، وهمَّ الشتاء قبل أن يجيء الشتاء، وهمَّ الصيف قبل أن يجيء الصيف، فماذا أبقيتَ من قلبك الضعيف لآخرته؟!

كل يوم ينقصُ من أَجَلك وأنتَ لا تحزن، وكلَّ يوم تستوفي رزقك

---

(١) «قصر الأمل» (ص٧٥).

(٢) «قصر الأمل» (٧٥)، و«حلية الأولياء» (٤/ ٢٥٨).

(٣) شميط بن عجلان، أبو عبد الله، ويقال: أبو همام، عالم عابد زاهد. أسند عن جماعة من التابعين. من أقواله: إن الله عز وجل جعل قوة المؤمن في قلبه ولم يجعلها في أعضائه؛ ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفًا يصوم الهواجر ويقوم الليل؟ والشاب يعجز عن ذلك!. وكان يقول: اللهم اجعل القليل من الدنيا يكفينا كما يكفي الكثيرُ أهلَه. «صفة الصفوة» (٣/ ٣٤١- ٣٤٧).

وأنت لا تحزن!

أُعطيتَ ما يكفيك، فأنت تطلب ما يُطغيك!

لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع!

وكيف لا يستبين بعالم جهلُه، وقد عجز عن شكر ما هو فيه، وهو مغترٌّ في طلب الزيادة؟

أم كيف يعملُ للآخرة من لا ينقطعُ من الدنيا شهوته، ولا تنقضي منها نُهمته؟!».

فالعجبُ كل العجب لمن يُصدِّق بدار الحيوان، وهو يسعى لدار الغرور»[1].

□ وقال رَحِمَهُ اللهُ: «طالت آمالكم، فجدَّدتم منازلكم من الدنيا، وطَيَّبْتم منها معايشكم، وتلذَّذتم فيها بطيبِ الطعام، وليِّن اللباس، كأنكم للدنيا خُلقتم! أَوَلا تعلمون أن الموت أمامكم؟ أَوَلا تعلمون أن مَلَك الموت موكَّل بآجالكم، لا يذهب عنه من المدة شيء؟

ثم يقول: لا تكونوا -رحمكم الله- أقلَّ شيء بالموت اكتراثًا، وأعظمَ شيء عن الموت غفلة، فما ينتظر الحيُّ إلَّا الموت! وما ينتظر المسافرُ إلَّا الظَّعن»[2].

□ وقال رَحِمَهُ اللهُ: «أيها المغترُّ بطول صحته، أما رأيتَ ميتًا قطُّ من غير سقم؟

---

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣)، و«قصر الأمل» (ص٥٦-٥٨).

(٢) «قصر الأمل» (ص٥٨)، والظَّعْن: الارتحال.

أيها المغترُّ بطول المُهلة، أما رأيت مأخوذًا قطُّ من غير عُدَّة؟

إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدَّمَ من لذاتك.

أبا لصحةِ تغترُّون؟ أم بطول العافية تمرحون؟ أم للموت تأمنون؟ أم على ملك الموت تجترؤون؟!

إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروةُ مالك، ولا كثرة احتشادك. أما عَلِمتَ أن ساعة الموتِ ذاتُ كربٍ وغُصص وندامة على التفريط؟

ثم يقول: «رحم اللهُ عبدًا عمل لساعة الموت، رحم الله عبدًا عمل لما بعد الموت. رحم الله عبدًا نظر لنفسه قبل نزول الموت»(١).

□ وعن سفيان الثوري قال: «كتب الربيعُ بن خُثيم إلى بعض إخوانه: أن رُمَّ جهازك (٢)، كن وصيَّ نفسك، ولا تجعل أوصياءك الرجال»(٣).

□ وقال صدقةُ أبو محمد الزاهد: «خرجنا في جنازةٍ بالكوفة، وخرج فيها داود الطائي، فانتبذ مقعد ناحيةٍ وهي تُدفن، فجئتُ قريبًا منه، فتكلم فقال: من خاف الوعيد قصُر عليه البعيد، ومن طال أملُه ضعف عمله، وكل ما هو آتٍ قريبٌ.

واعلم -أيْ أخي- أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم.

---

(١) «قصر الأمل» (صص٦١- ٦٢)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٤٧).

(٢) رَمَّ الشيء يَرُمُّه: أصلَحه وقد فسد بعضه. يعني أصلح جهاز موتك استعدادًا له.

(٣) «قصر الأمل» (ص٧٩)، و«الحلية» (٢/ ١٠٧) ولفظه «أعد زادك، وخُذْ في جهادك، وكنْ وصيَّ نفسك» و«الزهد» لأحمد (٢/ ٢١٤): «ذم جهارك...» ويعني بعدم وصبة الرجال، ألا يبقىٰ عنده شيء من الدنيا فيوصي به.

واعلم أن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور، إنما يندمُون على ما يخلِّفون، ويفرحون بما يقدِّمون، ممَّا عليه أهلُ القبور ندموا أهلُ الدنيا عليه يقتتلون، وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاة يختصمون!»[١].

□ وعن محمد بن واسع قال: «أربعةٌ من الشَّقاء: طولُ الأمل، وقسوة القلب، وجمود العين، والبخل»[٢].

□ وقال الفُضيل بن عياض: «إنَّ من الشَّقاء طول الأمل، وإنَّ من النَّعيم قِصَر الأَمَل»[٣].

□ وعن الحارث النخعي: «إن كان الرجل تُنْتِج[٤] فَرَسُه من الليل فَيَنْحرُها غدوة، يقول: أنا أعيش حتى أركب هذا؟ فجاءنا كتاب عمر، أن أصلحوا ما رزقكم الله، فإن في الأمر متنفسًا»[٥].

□ وقال عبد الله بن ثعلبة[٦] الحنفي: «تضحكُ ولعلَّ أكفانك قد خرجت من عند القصَّار[٧]»[٨].

---

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨)، و«قصر الأمل» (ص٧٨).

(٢) «قصر الأمل» (ص٧٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) أي: تَلِد.

(٥) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، باب اصطناع الأموال (ص١٦٨) رقم (٤٧٨) وأورد البخاري بعده حديث: «إنْ قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتىٰ يغرسها فليغرسها.

(٦) كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد بكىٰ حتىٰ أثّرت الدموع في خدَّيه، وكان في زمن سفيان بن عيينة انظر «حلية الأولياء» (٦/ ٢٥٤)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٨١).

(٧) القَصَّار: الصبَّاغ.

(٨) «قصر الأمل» (٧٤)، و«الحلية» (٦/ ٢٥٤)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٨١)، =

□ وعند عبد الله بن زُبَيْدِ الإيامي قال: «التقي رجلانِ من الحكماء، فتذاكرا الموت، فقال أحدهما: ما أكدرَ عيشَ من قصر أمله!.

فقال الآخر: لا أقول ما قلت.

قال: فماذا تقول؟

قال: أقول: ما أصفى عيش من كان كذلك!

قال: أي أخي! وكيف ذلك؟

قال: قد استراح في عاجل الأمر، إلَّا مما يقوم به رمق النفس!»[١].

□ كان عبد الله بن مرزوق [٢] يتمثَّلُ كثيرًا هذا البيت:

ومؤمِّــلِ والمــوتُ دون رجائــه ... ومحــاذِرِ أكفانُــه لم تُغْــزَلِ [٣]

□ وقال عمر بن ذر: «ابن آدم إنما يتعجَّلُ أفرَاحَه بكاذب آماله، ولا يتعجَّلُ أحزانه بأعظمِ أخطاره!»[٤].

□ وقال بكر بن عبد الله المُزني: «إذا أردت أن تنفعك صلاتُك فقُلْ: لَعَلِّي لا أُصليِّ غيرها»[٥].

□ وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «ما أطال عبدٌ الأمل، إلَّا أساء العمَلَ»[٦].

و«الإحياء» (٤/ ٦٦٣).

(١) «قصر الأمل» (ص٧٤- ٧٥).

(٢) انظر «صفة الصفوة» (٢/ ٣١٧).

(٣) «قصر الأمل» (ص٧٤).

(٤) «قصر الأمل» (ص٧٢).

(٥) «قصر الأمل» (ص٨٢).

(٦) «الزهد» للحسن البصري (ص٨٢)، و«قصر الأمل» (٨٢).

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا سَرَّكَ أن تنظر إلى الدنيا بعدك، فانظر إليها بعد غيرك»[١].

□ وقال بعض الحكماء: «الأمل سلطانُ الشيطانِ على قلوب الغافلين»[٢].

□ وقال مالك بن ضَيْغم: «ما سمعتُ أبي[٣] يُنشد من الشعر شيئًا إلَّا هذه الأبيات:

قُـلْ للمؤمِّـلِ والمنايـا شُرَّعُ ... مـاذا يغـرُّك يـا ابـنَ مَـنْ لم يَخْلُـدِ
يا ابـنَ الـذين تقطَّعـت أوصـالهُم ... ترجـو البقـاءَ وأنـت غـيرُ مُخَلَّـدِ
وأبوك مالكُ كان يأمُـلُ مـا تـرى ... حتـى أَتَتْـهُ منيَّـةٌ لم تُـرْدَدِ[٤]

□ وقال ابن أبي عَمْرة:

يـا أيُّهـذا الـذي قـد غـرَّه الأمـلُ ... ودونَ ما يَأْمُلُ التنغيصُ والأَجَلُ
ألا تـرى أنَّـما الـدنيا وزينتُهـا ... كمنزلِ الرَّكْـبِ دارًا ثَمَّـة ارتحلـوا
حُتوفهـا رَصَـدٌ وَعَيْـشُها نكَـدٌ ... وصـفوها رَنَـقٌ ومُلْكُهـا دُوَلُ[٥]

---

(١) «قصر الأمل» (ص٨٢).

(٢) «قصر الأمل» (ص٨٢).

(٣) هو ضيغم بن مالك الراسبي البصري، الزاهد القدوة الرباني. أخذ عن التابعين. قال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيتُ مثل ضيغم في الصلاح والفضل. وأورد ابن الأعرابي أنه صلىٰ حتىٰ انحنىٰ! وكان من الخائفين البكائين. وكان ينام ثلث الليل ويتعبَّد ثلثيه. توفي سنة ١٠٨هـ هو وصاحبه بِشْر بن منصور العابد في يوم. «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٢١)، «صفوة الصفوة» (٣/ ٣٥٧- ٣٦٠).

(٤) «قصر الأمل» (ص٧٣).

(٥) رنق: كَدِر. دول: ينتقل من حال إلىٰ حال.

تَظَلُّ تُفْـزِعُ في الرَّوعـات سـاكِنَها ... فـما يـسوغُ لـه لِـيْنٌ ولا جَـذَلُ (١)

كأنـه للمنايـا والـرَّدى عَـرَضٌ ... تظلُّ فيه بنـاتُ الـدهر تنتـضلُ (٢)

المـرء يـشقى بـما يـسعى لوارثـه ... والقبر وارثُ ما يسعى له الرجـلُ (٣)

□ وكان يزيد الرَّقاشي يقول: «إلى متى نقولُ: غدًا أفعلُ كذا، وبعد غدٍ أفعلُ كذا، وإذا أفطرتُ فعلتُ كذا، وإذا قدمتُ من سفري فعلتُ كذا؟! أغفلتَ سفرك البعيد، ونسيتَ ملَك الموت؟ أما علمتَ أن دون غدٍ ليلةً تُخترَمُ فيها أنفسٌ كثيرة؟ أما علمت أن ملك الموت غيرُ منتظِرٍ بك أملَك الطويل؟ أما علمتَ أن الموت غايةُ كل حيٍّ؟. قال: ثم يبكي حتى يبلَّ عمامته، ثم يقول: أما رأيته صريعًا بين أحبابه لا يَقدِرُ على ردِّ جوابهم، بعد أن كان جَدِلًا خَصْمًا، سمحًا كريما عليهم؟ أيها المغترُّ بشبابه! أيُّها المُغتَرُّ بطول عمره!

قال: ثم يبكي حتى يبلَّ عمامته (٤).

□ وكتب رجل إلى أخٍ له: «أمَّا بعد، فإن الدنيا حُلم، والآخرة يقظة! والمتوسِّط بينهما الموت، ونحن في أضغاث، والسلام» (٥).

□ وكتب حكيمٌ إلى أخ له: «إن الحزنَ على الدنيا طويل، والموتَ من الإنسان قريب، وللنقص في كل وقت منه نصيب، وللبلاء في جسمه

---

(١) الجذل: الفرح.

(٢) بنات الدهر: صروفه. تنتضل: تستبق.

(٣) «قصر الأمل» (ص٧٣).

(٤) «قصر الأمل» (ص٧٠- ٧١).

(٥) «قصر الأمل» (ص٥٢)، و«الإحياء» (٤/ ٦٦٢).

دبيب. فبادر قبل أن تُنادى بالرحيل، والسلام»[(١)].

□ وقال أبو بكر بن عليّ:

قـل للمؤمِّـل إن المـوتَ في أَثَـرِكْ ... وليس يخفى عليك الأمرُ مِنْ نَظَرِكْ

فيمن مضى لك إن فكَّرتَ مفتكـرْ ... ومَنْ يمت كلَّ يوم فهو من نُـذُرِكْ

دارٌ تـسافر فيهـا مـن غـد سـفرًا ... فلا تؤوب إذا سافرتَ من سـفرِكْ

تضحى غدًا سمرًا للـذاكرين كـما ... صار الذين مضوا بالأمس من سمركْ[(٢)]

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

نُـوديْ بـصوتٍ أيَّـما صـوتِ ... مـا أقـربَ الحـي مـن المـوتِ

كـأنَّ أهـل الغـيِّ في غـيِّهم ... قـد أخـذوا أمنًـا مـن المـوت

كـم مـصبح يَعْمُـر بيتًـا لـه ... لم يُمْـسِ إلَّا خـارب البيـت!

هـذا وكـم حـيٌّ بكـى مَيْتًـا ... فأصـبح الحـيُّ مـع الميـتِ[(٣)]

□ وعن أبي المتوكِّل الناجي قال: «قال لي سليمانُ بن عبد قيس[(٤)]: «يا أبا المتوكِّل!

قلت: لبيك.

قال: عليك بما يُرغِّبك في الآخرة، ويزهدك في الدنيا، ويقربك إلى الله.

---

(١) «قصر الأمل» (ص٥٢)، و«الإحياء» (٤/ ٦٦٢) وفيه: وللبلى.

(٢) «قصر الأمل» (ص٥٣).

(٣) «قصر الأمل» (ص٥٣).

(٤) هو سليمان بن قيس اليشكري البصري، روىٰ عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري. جالس جابرًا وسمع منه ومات قبله.

قلت: وما هو يا عبد الله؟

قال: تقصُر عن الدنيا همَّتك، وتسمو إلى الآخرة بنيَّتك، وتُصدِّق ذلك بفعلك.

قلت: فكيف لي ما أستعين به على ذلك؟

قال: تقصر أملك في الدنيا، وتكثر رغبتك في الآخرة، حتى تكون بالدنيا بَرِمًا، وبالآخرة كَرِثًا. فإذا كنت كذلك لم يكن شيءٌ أحبَّ إليك ورودًا من الموت، ولا شيء أبغضَ إليك من الحياة»[1].

□ وكتب محمد بن يوسف «عروس العُباد» إلى أخيه عبد الرحمن بن يوسف: «من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف.

سلامٌ عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلَّا هو، أما بعد:

فإني محذِّرك مُتَحوَّلك من دار مُهْلتك إلى دار إقامتك وجزاءِ أعمالك، فتصير في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها، فيأتيك منكرٌ ونكير، فيُقعدانك وينتهرانك، فإن يكن الله معك فلا بأسَ ولا وحشةَ ولا فاقة، وإن يكن غير ذلك، فأعاذني الله وإياك من سوءِ مصرعٍ وضيقِ مضجعٍ. ثم تتبعك صيحةُ الحشر ونفخ الصُّور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق، وخلاء الأرض من أهلها، والسماوات من سكانها. فباحت الأسرار، وأُسعرت النار، ووُضعت الموازين، وجيءَ بالنبيين والشهداء ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزمر] فكم من مفتضح ومستور! وكم من

---

(١) «قصر الأمل» (ص٥٣ ـ ٥٤).

هالك وناجٍ! وكم من معذَّبٍ ومرحوم!

فيا ليت شعري ما حالي وحالُك يومئذ؟

ففي هذا ما هَدَم اللذات، وسلا عن الشهوات، وقصَّر الأمل، فاستيقظ النائمون، وحَذِر الغافلون.

أعاننا الله وإياك على هذا الخطر العظيم، وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين. فإنما نحن به وله [1].

□ وقال أبو زكريا التيْمي: «بينما سليمانُ بن عبد الملك في المسجد الحرام، إذ أُتي بحجر منقور [2]، فطلب من قرؤه.

فأُتي بوهب بن منبِّه، فقرأه، فإذا فيه:

ابنَ آدم، إنك لو رأيتَ قُربَ ما بقي من أجلك، لزهدتَ في طول عملك، ولرغبتَ في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك. وإنما يلقاك غدًا ندمُك لو قد زلَّت بك قدمُك، وأسلمك أهلُك وحَشَمك، فبانَ منك الولد القريب، ورفضك الوالدُ والنسيب. فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد. فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة.

أظنه قال: فبكى سليمان بكاء شديدًا [3].

□ وكتب أبو عتبة عبَّاد الخوَّاص [1] إلى سليمان بن حيَّان أبي خالد

---

(١) «قصر الأمل» (ص٦٢ ـ ٦٣)، و«حلية الأولياء» (٨/ ٢٣٦)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٢).

(٢) نُقِر في الحجر: كتب فيه.

(٣) «حلية الأولياء» (٤/ ٦٩)، و«قصر الأمل» (ص٦٢).

الأحمر:

أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله، وحُسنِ النظر مما هو منظورٌ فيه من أمرك.

واعرض نفسك قبل عرض الله إياك.

وبادر الأَجَلَ بصالح العمل قبل فوت ذلك والأسف عليه.

فالعجبُ لموقع هذا الخطر من القلوب مع المعرفة بفنائه والعلم بما مضى منه ومن أهله!

□ وكتب حكيم: «تيقَّظوا الأمر لله، واحبسوا على أنفسكم ما يمرُّ لها صفحًا من العِبَر، وعلى أسماعكم لما يمرُّ بها مختارًا من المواعظ، وليحرِّك التخويفُ منكم خوفًا، وليُحدِث التذكيرُ لكم اعتبارًا، أو ليزدكم ببغض الدنيا إليكم لها بغضًا، ولمصارعها حَذَرًا.

وأغلقوا عليكم باب الأمل، فإنه يَفتح عليكم باب القسوة.

أَحِلُّوا الخوفَ منكم محلَّ الرجاء.

وأمهدوا في دار مقامكم قبل الرِّحلة، وبادروا بذلك الموتَ، وحسراتِ الفوتِ، وضيقَ المضطجعِ، وهولَ المطلع، والموقفَ للحساب، فكأنْ قد أظلَّكم!

فبادروا في بقية آجالكم فناءَها، وبصحة أجسامكم سقمَها.

وكونوا من الله على حذَر، ومن لقائه على عتاد.

---

(١) هو عبّاد بن عبّاد الرملي، أبوعتبة الخواص، فارسي الأصل. كان من فضلاء الشام وعُبَّادهم،وكتب إليه سفيان الثوري رسالته المشهورة في الوصايا والمواعظ انظر «تهذيب الكمال» (١٤/ ١٣٤)، و«حلية الأولياء» (٨/ ٢٨١).

فاستدلَّ مستدلٌّ بما يرى، أو اعتبرَ معتبر بما يسمع، أو نَظَر ناظر فأبصر، وفكَّر مفكِّر فانتفع. ولا تضيِّعوا حظوظكم من الله، فقد حضرت النقْلة وطال الاغترار.

□ قال الربيع بن عبد الرحمن [(١)]: «قَطَعَتنا غفلةُ الآمال عن مبادرة الآجال، فنحن في الدنيا حيارى، لا ننتبه من رَقدة إلَّا أعقبتنا في أَثَرها غفلةٌ!

فيا إخوتاه، نَشَدْتكم بالله، هل تعلمون مؤمنًا بالله أغرَّ [(٢)]، ولِنِقَمِه أقلَّ حذرًا، من قومٍ هجمت بهم العبَر على مصارع النادمين، فطاشت عقولهم، وضلَّت حلومهم عندما رأوا من العِبَر والأمثال، ثم رجعوا عن ذلك إلى غير قلعة ولا نقلة؟!

فبالله يا إخوتاه، ه رأيتم عاقلًا رضيَ من حاله لنفسه بمثل هذه حالًا؟

والله عبادَ الله لتَبْلُغُنَّ من طاعة الله رضاه، أو لتُنكرنَّ ما تعرفون من حسن بلائه، وتواتر نعمائه.

---

(١) ويعرف بالربيع بن برة. وصفه أبو نعيم بقوله: «المفيق من الغرَّة، والمحذر من المضرة، المشوق إلى الحبور والمسرة». من أقواله: رضيتَ لنفسك، وأنت الحُوَّل القُلَّب، أن تعيش عيش البهائم، نهارك هائم، وليلك نائم، والأمر أمامك جِد؟

وقال ابن الجوزي: زعم بعض نقلة الحديث أن الربيع بن برة أسند عن الحسن، وذكر له حديثًا. وإنما الربيع المذكور في ذلك الحديث هو الربيع بن صبيح، وأما ابن برَّة فلا نعلم له مسندًا. «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩٦)، «صفة الصفوة» (٣/ ٣٥٢).

(٢) أي: أكثر جهلاً.

إن تُحسِنْ أيها المرء يُحْسَنْ إليك. وإن تُسِيءْ فعلى نفسك بالعتْبِ فارجع، فقد بيَّن وأعذر وأنذر، فما للناس على الله حُجَّةٌ بعد الرسل، وكان الله عزيزًا حكيمًا[(١)].

□ وكان في تيم الله شيخ متعبِّد يُقال له محمد بن حسين البرجلاني، يجتمع إليه فتيان الحيِّ ونُسَّاكهم، فيذكِّرهم، فإذا أرادوا أن يتفرَّقوا قال: يا إخوتاه، قوموا قيام قومٍ قد يئسوا من المُعاودة لمجلسهم، خوفًا من خَطَفات الموكَّل بالنفوس!» فيبكي ويُبكي.

من بساتين العُبّاد والزاهدين قصيري الأمل:

□ قال الحسن: «لولا السَّهْوُ والأمل، ما مشى المسلمون في الطريق»[(٢)].

□ وقال: «السَّهْوُ والأمل نعمتان عظيمتان على ابن آدم»[(٣)].

□ وقال: «لو علمتُ متى أجلي، لخشيت على ذهاب عقلي، ولكن الله مَنَّ على عباده بالغفلة عن الموت، ولولا الغفلة ما تهنَّؤوا بعيش، ولا قامت بينهم الأسواق»[(٤)].

□ وقال سفيان الثوري: «الزهد في الدنيا: قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا لبس العباء»[(٥)].

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩٨)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٥٤- ٣٥٥)، و«قصر الأمل» (ص٦٨- ٦٩).

(٢) «قصر الأمل» (ص٣٨).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ١٦٤)، و«قصر الأمل» (ص٣٨).

(٤) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٢٤- ٢٢٥)، و«قصر الأمل» (ص٣٩).

(٥) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٨٦)، و«الزهد الكبير» للبيهقي (ص٧٩، ١٠٢، ١٩٤).

□ وعن محمر بن معمر قال: «سأل المُفَضَّل بن فَضَالة[١] ربَّه أن يرفع عنه الأمل، فذهب عنه الطعام والشراب. ثم دعا ربَّه، فردَّ عليه الأمل، فرجع إلى الطعام والشراب!»[٢].

□ وقال داودُ الطائي: «سألتُ عطوان بن عمرو التميمي[٣] قلت: ما قِصَرُ الأمل؟قال: ما بين تردُّدِ النَّفَس.

قال رستم: فحدثتُ به الفضيل بن عياض، فبكى وقال: يقول: يتنفَّس، فيخاف أن يموت قبل أن ينقطع نَفَسه. لقد كان عطوان من الموات على حذر!»[٤].

□ وعن الحسن أن ثلاثةَ علماء اجتمعوا، فقالوا لأحدهم: ماأَمَلُك؟

قال: ما أتى عليَّ شهرٌ إلَّا ظننتُ أني أموت فيه.

قال صاحباه: إن هذا الأمل!

فقالوا للآخر: ما أملك؟

---

(١) هو المفضل بن فضالة بن عبيد الرُّعيني أبو معاوية المصري. قاضي مصر. كان صالحًا مجاب الدعوة. انظر «صفة الصفوة» (٤/ ٣١٣)، و«تهذيب الكمال» (٢٨/ ٤١٥).

(٢) «حلية الأولياء» (٨/ ٣٢١)، و«تهذيب الكمال» (٢٨/ ٤١٨)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٣١٣)، و«قصر الأمل» (ص٤٢ - ٤٣).

(٣) كان منعزلًا، قال محمد بن السماك: ما رأيت أحدًا أشدَّ حذرًا للموت من عطوان ابن عمرو. وأتاه قوم يسلمون عليه بين القبور، فوجدوه مغشيًا عليه. فلم يزالوا عنده حتىٰ أفاق، فاستحيا منهم، فجعل يقول لهم كهيئة المعتذر: ربما غلب عليَّ النوم، وربما أصابني الإعياء، فألقي نفسي هكذا. «صفوة الصفوة» (٣/ ١٢٦ - ١٢٧).

(٤) «صفة الصفوة» (٣/ ١٢٧)، و«قصر الأمل» (ص٤٣).

قال: ما أتت عليَّ جمعةٌ إلَّا ظننتُ أني سأموت فيها!

قال صاحباه: إن هذا الأمل!

فقالوا للآخر: ما أملك؟

قال: ما أَمَلُ مَنْ نَفْسُه في يدِ غيره؟![١].

□ وقيل للحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يا أبا سعيد! ألا تغسلْ قميصك؟ قال: الأمرُ أعجلُ من ذلك»[٢].

□ وقال بُنَيٌّ للحسن البصري: «يا أَبه، إن هذا السهم قد انكسر. قال: أَيَّه؟ قال: هذا. فلحظ إليه لحظةً ثم قال: الأمرُ أسرعُ من ذلك»[٣].

□ وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «الموتُ معقودٌ بنواصيكم، والدنيا تُطوَى من ورائكم»[٤].

□ وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «كان أحدهم يتخذُ القصبة، ويجعل فيها خيطًا يعلِّقها في إصبعه فيها ماء، يريد إذا بال أن يتوضأ، مخافةَ أن يأتيه أمر الله!»[٥].

□ وانظر إلى قِصر أمل سيد أهل دمشق «يحيى الغساني»[٦] قال: «ما

---

(١) «الزهد» لابن المبارك (ص٨٥- ٨٦) رقم (٢٥٣)، و«الزهد» للحسن البصري تحقيق محمد عبد الرحيم محمد (ص٨١)، و«قصر الأمل» (ص٤٤).

(٢) «الحلية» (٦/ ٢٧٠)، و«الزهد الكبير» (ص٢٢٦)، و«قصر الأمل» (ص٤٥).

(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ١٥٦)، «قصر الأمل» (ص٤٦).

(٤) «قصر الأمل» (ص٤٦).

(٥) «الزهد» لابن المبارك (ص٩٩) رقم (٢٩٣)، و«قصر الأمل» (ص٤٧- ٤٨) واللفظ له.

(٦) يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني، أبو عثمان سيد أهل دمشق استعمله عمر بن عبد =

نمت يومًا قطُّ، فحدَّثتُ نفسي أني أستيقظ منه»[١].

▫ وعن حُميد الطويل أن بكر بن عبد الله المزني لقى أبا جميلة ميسرة ابن يعقوب الكوفي [٢] فقال: «يا أبا جميلة، كيف أنت؟ قال: أنا والله هكذا: كرجلٍ مادٍّ عنقَه والسيف عليها، ينتظر متى تُضرب عنقه! [٣].

▫ وداود الطائي رَحِمَهُ اللَّهُ يقولُ: «لو أَمَلْتُ أن أعيشَ شهرًا، لرأيتني قد أتيت عظيمًا! وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تَغْشَى الخلق في ساعات الليل والنهار!»[٤].

▫ وقال أبو علقمة الفَرْوي المدني مولى آل عثمان بن عفان رضي الله عنه كان صفوان بن سُلَيم [٥] لا يكاد يخرج من مسجد النبي ﷺ. فإذا أراد أن يخرج بكى، وقال: أخاف أن لا أعود إليه! [٦].

▫ وقال إسماعيل بن زكريا -وكان جارًا لأبي محمد حبيب العجمي

العزيز على قضاء الموصل. ثقة. من فقهاء أهل الشام وقرّائهم انظر «تهذيب الكمال» (٣٢/ ٣٧- ٤١).

(١) «قصر الأمل» (ص٤٧- ٤٨).

(٢) أبو جميلة الطهُوي الكوفي كان صاحب راية علي رضي الله عنه.

(٣) «قصر الأمل» (ص٤٦- ٤٧).

(٤) المصدر السابق (ص٤٧).

(٥) ثبة ثبت مشهور بالعبادة. قال فيه الإمام أحمد: هذا رجل يُستسقىٰ بحديثه، وينزل القَطْر من السماء بذكره. وعن أنس بن عياض: رأيت صفوان بن سليمن، ولو قيل له:غدًا القيامة، ما كان عنده مزيدٌ علىٰ ما هو عليه من العبادة.
روىٰ له الجماعة. ت ١٣٢هـ. «تهذيب الكمال» (١٣/ ١٨٤- ١٩١)، «صفة الصفوة» (٢/ ١٥٣- ١٥٦).

(٦) «صفة الصفوة» (٢/ ١٥٣)، و«قصر الأمل» (ص٥٩).

الفارسي-: «كنتُ إذا أمسيتُ سمعتُ بكاءه، وإذا أصبحت سمعتُ بكاءه. فأتيتُ أهله فقلت: ما شأنُه يبكي إذا أمسى، ويبكي إذا أصبح؟! قال: فقالت لي: يخافُ -والله- إذا أمسى أن لا يُصبح، وإذا أصبح أن لا يُمسي!»[١].

□ وقالت امرأة حبيب: «كان يقول إِن مِتُّ فأرسلي إلى فلان يُغَسِّلني، وافعلي كذا، واصنعي كذا. فقيل لامرأته: أرأى رؤيا؟ قالت: هذا يقوله في كل يوم»[٢].

□ وقال عاصم بن أبي النَّجُود: «كان لأبي وائل[٣] خُصٌّ من قصب[٤]، فكان إذا غزا نقضه، وتصدَّق به، وإذا رجع أنشأ بناءه»[٥].

□ وقال أبو زرعة[٦] لإبراهيم بن نشيط الوعلاني: «لأقولنَّ لك قولًا ما قلتُه لأحدٍ سواك! ما خرجتُ من المسجد منذ عشرين سنة، فحدثتُ

---

(١) «قصر الأمل» (ص٥٩)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٢٠)، و«جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٦٣).

(٢) «قصر الأمل» (ص٦٠)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٢٠)، و«جامع العلو والحكم» (٢/ ٢٦٣).

(٣) هو شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل، أدرك زمان رسول الله ﷺ ولم يلقه، وسمع من عمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وغيرهم ﷺ. وكان إذا خلا يسبِّح، ولو جُعلت له الدنيا علىٰ أن يفعل ذلك وأحدٌ يراه لم يفعل. توفي في زمن الحجاج بعد وقعة دير الجماجم. «صفة الصفوة» (٣/ ٢٨).

(٤) بيت من قصب أو شجر.

(٥) «حلية الأولياء» (٤/ ١٠٣)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٨)، و«قصر الأمل» (ص٢٠٧).

(٦) أبو زُرعة الشامي الحمصي يحيىٰ بن أبي عمرو السَّيباني شيخ ثقة تُوُفيِّ بعد الخمسين والمائة.

نفسي أن أرجع إليه!»[١].

□ وقال زياد النميري [٢] القائم المتهجِّد والصائم المتعبِّد: «لو كان لي من الموت أجلٌ أعرفُ مدَّتَهُ، لكنتُ حريًّا بطول الحزن والكمد حتى يأتيني وقته، فكيف وأنا لا أعلم متى يأتيني الموت صباحا، أو مساء؟!.

ثم خنقته العَبْرة، فقام» [٣].

□ وقال رجلٌ لحسان بن أبي سِنان [٤]: «تركتَ المكاسبَ والتجارة، وفرَّقتَ مالك! فقال له حسان: وأنت أيضًا لو ظننتَ أنك تموتُ غدًا لقصرت؟ قال: وكان الرجل من ملوك أهل البصرة!» [٥].

□ وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «كم تجيءُ وتذهب في حوائجك، وكأنك في اللَّحْد!» [٦].

□ وقال القعقاع بن حكيم [٧]: «قد استعددتُ للموت منذ ثلاثين سنة! فلو أتاني ما أحببتُ تأخيرَ شيء عن شيء» [٨].

---

(١) «قصر الأمل» (ص٦٠).

(٢) زياد بن عبد الله النميري: روىٰ عن أنس رضي الله عنه.

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ٧٦)، و«قصر الأمل» (ص٦١).

(٤) أحد العباد الورعين البصريِّين. كان كثير الرواية عن الحسن -وكان يقول: لولا المساكين ما اتجَرت. انظر «حلية الأولياء» (٣/ ١١٤ ـ ١٢٠)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٣٦ ـ ٣٤١)، و«تهذيب الكمال» (٦/ ٢٦ ـ ٣٠).

(٥) «قصر الأمل» (ص٦٧).

(٦) «قصر الأمل» (ص٨٠).

(٧) القعقاع بن حكيم المدني: ثقة: روىٰ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٨) «قصر الأمل» (ص٧١)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣).

□ وقال سفيان الثوري: «رأيت شيخًا في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنةً أنتظر الموتُ أن ينزل بي؛ لو أتاني ما أمرتُه بشيء، ولا نهيتُه عن شيء، ولا لي على أحدٍ شيء، ولا لأحد عندي شيء!»[١].

□ قال بكر بن عبد الله المُزني: «كانت امرأة متعبِّدة، وكانت إذا أمست قالت: يا نفسُ! الليلة ليلتك، لا ليلة لكِ غيرها! فإذا أصبحت قالت: يا نفس! اليوم يومك، لا يوم لكِ غيره. فاجتهدت»[٢].

□ وكانت أم الصهباء معاذةُ العدويَّة -زوجة صِلة بن أشيم- إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنامُ حتى تُمسِي، وإذا جَنَّ الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها. فلا تنام حتى تُصبح»[٣].

□ وكانت عَجردة العمية -رحمها الله- إذا جاء الليل، لبست ثيابها وتقنَّعت ثم قامت إلى المحراب، فلا تزالي تصلي إلى السَّحَر، ثم تجلس فتدعو حتى يطلعَ الفجر، فقالت لها آمنةُ بنت يَعْلى بن سُهَيْل -أو بعض أهل الدار-: لو نِمتِ من الليل شيئًا! فبكت وقالت: ذِكرُ الموت لا يدعُني أنام»[٤].

□ وكانت عُفيرة العابدة لا تضعُ جنبها إلى الأرض في ليل وتقول: «أخاف أن أؤخذ على غِرَّة وأنا نائمة»[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «قصر الأمل» (ص٧٧)، و«جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٢٦٣).

(٣) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٢).

(٤) «.صفة الصفوة» (٤/ ٣١).

(٥) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٤).

□ وكانت ماجدة القرشية العابدة تقول: «طَوى أملي طلوعُ الشمس وغروبها. فما من حركة تُسمَع ولا قدم تُوضَع إلَّا ظننتُ أن الموت في أثرها».

□ وكانت تقول: «سكَّانُ دار أُوذنوا بالنقلة، وهم حيارى يركضون في المُهلة كأنَّ المُراد غيرهم، أو التأذين ليس لهم، والمعنَّى بالأمر سواهم. آهٍ من عقولٍ ما أنقصَها، ومن جهالةٍ ما أتمَّها، بُؤسًا لأهل المعاصي.. ماذا غُرُّوا به من الإمهال والاستدراج؟

وتقول: بَسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم، ولوْ نصبوا الآجال وطَوَوا الآمال خفَّت عليهم الأعمال»[1].

□ وعن محمد بن أبي توبة قال: «أقام معروفٌ الكرخي الصلاة، ثم قال لي: تقدَّم[2]. فقلت: إنيِّ إن صليْتُ بكم هذه الصلاة، لم أصلِّ بكم غيرها. فقال معروف: وأنت تُحدِّث نفسك أن تصلي صلاةً أخرى؟! نعوذ بالله من طول الأمل، فإنه يمنع خير العمل»[3].

□ وكان محمدُ بن واسع إذا أراد أن ينام، قال لأهله قبل أن يأخذ مضجعه: «أستودعكم الله، فلعلها أن تكون منيَّتي التي لا أقوم فيها!».

فكان هذا دأبه إذا أراد النوم![4].

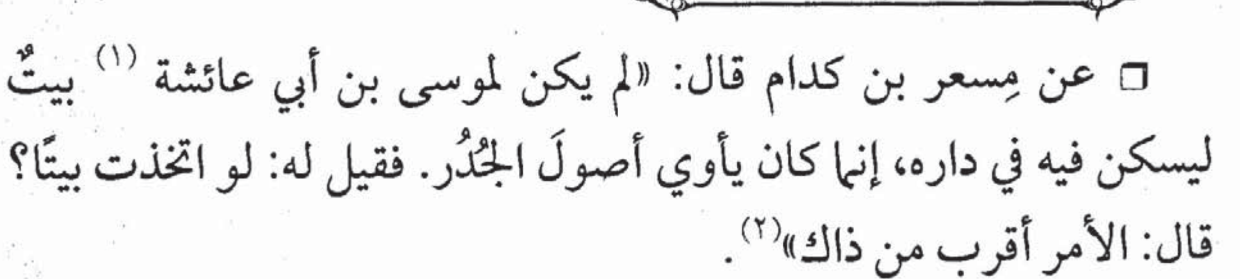
---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٧٤).

(٢) وذلك أن معروفًا كان لا يؤم.

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ٣١٩)، و«مناقب معروف الكرخي» لابن الجوزي (ص١٠١- ١٠٢)، و«قصر الأمل» (ص٨١- ٨٢).

(٤) «قصر الأمل» (ص١٤٧)، و«جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٦٣).



□ عن مِسعر بن كدام قال: «لم يكن لموسى بن أبي عائشة [(١)] بيتٌ ليسكن فيه في داره، إنما كان يأوي أصولَ الجُدُر. فقيل له: لو اتخذت بيتًا؟ قال: الأمر أقرب من ذاك»[(٢)].

□ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ والشمس على أطراف السَّعَف [(٣)]، فقال: **«ما بقي من الدنيا إلَّا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه»**[(٤)].

المبادرة إلى العمل:

□ عن عبد الله بن عُكَيْم قال: «اعلموا -عباد الله- أنكم تغدون وتروحون في أَجَلٍ قد غِيْبَ عنكم علمه. فإن استطعتم أن ينقضيَ وأنتم في عمل الله فافعلوا. ولن تستطيعوا ذلك إلَّا بالله. فسارعوا في مُهْل أعماركم من قبل أن تُقضى آجالكم، فيردَّكم إلى أسوأ أعمالكم»[(٥)].

□ وعن إبراهيم النخَعي قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «التؤدة في

---

(١) موسىٰ بن أبي عائشة المخزومي الهمداني، أبو الحسن الكوفي. قال يحيىٰ بن سعيد: كان سفيان الثوري يحسن الثناء عليه. وقال يعقوب بن سفيان: كوفي ثقة. وكان يدعي المتهجِّد، من شدة تغير لونه. وقال عمرو بن قيس: ما رفعت رأسي بليلٍ قط إلا رأيت موسىٰ بن أبي عائشة قائمًا يصلي! «صفة الصفوة» (٣/ ١١٩)، «تهذيب التهذيب» (٥/ ٥٦٩).

(٢) «قصر الأمل» (ص٢١٢).

(٣) السَّعَف: جريد النخل وورقه، جمعه سُوف.

(٤) إسناده حسن: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل، وقال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» بإسناد حسن.

(٥) «قصر الأمل» (ص١٣١).

كل شيء، إلَّا في أمر الآخرة»[١].

◻ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما منكم أحدٌ أصبح إلَّا وهو ضيف، ومالُه عارية. والضيف مرتحلٌ لينطلق، والعارية مؤدَّاة!»[٢].

◻ وقال: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل الدنيا كلَّها قليلًا، فما بقي منها إلَّا قليلٌ من قليل. ومثل ما بقي منها كعين الغدير شُرِب صفْوُه وبقي كَدَرُه!».

◻ وعن عون بن مَعمر قال: «كان معاذُ بن جبل له مجلسٌ يأتيه فيه ناسٌ من أصحابه، فيقول: يا أيها الرجل -وكلُّكم رجل- اتقوا الله، وسابقوا الناس إلى الله، وبادِروا أنفسكم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ -يعني الموت-، ولْتَسَعْكُم بيوتكم، ولا يضرُّكم ألَّا يعرفكم أحد»[٣].

◻ واجتهد الصحابيُّ الجليل قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له: «لو أمسكت أو رفقتَ بنفسك بعض الرفق؟ فقال: إن الخيل إذا أُرسلت فقاربتْ رأسَ مجراها، أخرجتْ جميعَ ما عندها؛ والذي بقي من أَجَلي أَقلُّ من ذلك! قال: فلم يزل على ذلك حتى مات»![٤].

◻ وصام أبو موسى حتى عاد كأنه خِلال[٥]، فقيل له: «لو أَجْمَمْتَ نفسك[٦]. فقال: أيهاب![١] إنما يسبقُ من الخيل المضمَّرة»[٢].

---

(١) «الزهد» لأحمد (١/ ٢٩)، و«قصر الأمل» (ص١٠٤).

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ١٣٤)، و«قصر الأمل» (ص١٢٠)، و«صفة الصفوة» (١/ ٤١٩)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٩).

(٣) «قصر الأمل» (ص١٤٦).

(٤) «قصر الأمل» (ص١٠٨)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨- ٦٦٩).

(٥) العُود الذي يُتخَلَّل به، جمعه أَخِلَّة.

(٦) أي: أرحْتها، من الاستجمام.

□ وربما خرج من منزله فيقول لامرأته: «شدي رَحِلَك، فليس على جسر جهنم مَعْبَر!»(٣).

□ وعن أنس رضي الله عنه قال: «التسويف جندٌ من جنود إبليس عظيم، طالما خَدَع به»(٤).

□ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «تعوَّدوا الخير، فإن الخير عادة. وإياكم وعادةُ السُّوَّاف مِنْ سَوْفٍ(٥) أَوْ مِنْ سَوْف»(٦).

□ قال محمود بن الحسن:

والمرءُ مرتهن بسوفَ وليتني ... وهلاكُه في السَّوْف واللَّيْتِ

من كانت الأيام تسير به ... فكأنَّهُ قد حَلَّ بالموتِ

لله درُّ فتًى تدبَّر أمره ... فغدا وراح مبادرَ الفوْتِ

□ وقال الآخر:

اغتنِمْ في الفراغِ فضلَ ركوعِ ... فعسى أن يكون موتُك بَغْتَةْ

كَمْ صحيحٍ رأيتَ مِن غير سَقْمٍ ... ذهبتْ نفسُه الصحيحة فَلْتَةْ

□ وقال آخر:

اذكُرِ الموتَ غُدْوةً وعشِيَّةْ ... وارعَ ساعاتك القصار الوَحِيَّةْ(٧)

---

(١) أيهات: لغة في هيهات.
(٢) الخيل المضمَّر: هو الذي يربَط ويُعلَف ويُسقَىٰ كثيرًا مدّة، ثم يُركَضُ في الميدان حتىٰ يخف ويدق.
(٣) «صفة الصفوة» (١/ ٥٦٠)، و«قصر الأمل» (ص١٠٩).
(٤) «قصر الأمل» (ص١٤١)، وفي سنده صالح المري ويزيد الرقاشي.
(٥) السَّوْف: الصبر والمطل. يُقال: فلانٌ يقتات السَّوْف، أي: يعيش بالأماني.
(٦) «قصر الأمل» (ص١٤٣).
(٧) الوَحِيَّة: المُسْرِعة.

هَبْكَ قدْ نِلْتَ كلَّ ما تحملُ الأَرْ ضُ فهل بعد ذاك إلَّا المَنِيَّةْ

▫ وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «اغتنموا المبادرة -رحمكم الله- في المهلة»[(١)].

▫ وقال عبد الواحد بن صفوان: «كنا مع الحسن في جنازة، فقال: رحم الله امرأً عمل لمثل هذا اليوم. إنكم اليوم تَقْدِرون على ما لا يَقْدِرُ عليه إخوانكم هؤلاء من أهل القبور. فاغتنموا الصحةَ والفراغ، قبل يوم الفزعة والحساب»[(٢)].

▫ وقال أبو محمد حبيب العجميُّ: «لا تقعُدُوا فُرَّاغًا؛ فإن الموت يطلبكم»[(٣)].

▫ وقال الحسن في موعظته: «المبادرةُ عبادة، المبادرة! فإنما هي الأنفاس، لو قد حُبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تقرَّبون بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

رحم الله امرءًا نظر لنفسه، وبكى على ذنوبه! ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم].

ثم يبكي ويقول: آخر العدد خروجُ نفسك.

آخر العدد فراقُ أهلك.

آخر العدد دخولك في قبرك»[(٤)].

---

(١) «قصر الأمل» (ص١٠٤).

(٢) المصدر السابق (ص١٠٥).

(٣) المصدر نفسه (ص١٠٥).

(٤) «قصر الأمل» (ص١٠٦ ـ ١٠٧)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨).

□وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [محمد]، قال: زيَّنَ لهم الخطايا، ومَدَّ لهم في الأمل»[١].

□ «تصبَّروا وتشدَّدوا؛ فإنما هي ليالٍ قلائل، وإنما أنتم رَكْبٌ وقوفٌ يوشك أن يُدعى الرجل منكم، فيجيب ولا يلتفت، فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم»[٢].

□ وعن نافع مولى ابن عمر أن عبد الله بن عمر كان في المدينة هو وأصحابٌ له، فوضعوا سفرة، فمرَّ بهم راع، فقال له عبد الله بن عمر: «كُلْ من هذه السُّفْرَة. قال: إني صائم. قال: فتعجَّب ابن عمر لصيامه فقال له: أفي مثل هذا اليوم الصائف الحار؟ أتصوم وأنت في هذه الشعاب؟ فقال: إني -والله- أبادر أيامي هذه الخيالة. فتعجب ابن عمر وقال له: هل لك أن تبيعنا شاةً من غنمك هذه فنعطيَك ثمنها، ونذبحها فنعطيك من لحمها ما تُفطر عليه؟ قال الراعي: إنها ليست لي، إنما هي لمولاي. قال ابن عمر: فما عسيت مولاك قائلًا! إذا سألك عنها فقلتَ أكلها الذئب؟! قال: فتولى الراعي وهو رافع أصبعَه إلى السماء وهو يقول: فأين الله عَزَّ وَجَلَّ؟!. قال: فجعل ابن عمر يردد قول الراعي ويقول: قال الراعي: فأين الله؟!.

قال: فبعد أن قدم المدينة بَعث إلى سيده، فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي، ووهب له الغنم»[٣].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٦/ ٢٤٩).
(٢) «قصر الأمل» (ص١١٩)، و«الإحياء» (٤/ ٦٦٩).
(٣) «قصر الأمل» (ص١٢٧- ١٢٨).

□ ونزل رَوْح بن زِنْباع [(١)] منزلًا بين مكة والمدينة في حرٍّ شديد، فانقضَّ عليه راعٍ من جبل، فقال له: «يا راعي هلمَّ إلى الغَداء. فقال: إني صائم. قال: إنكَ لتصوم في هذا الحر الشديد؟! قال: أفأَدَعُ أيامي تذهب باطلًا؟ فقال رَوح:

لقد ضننتَ بأيامك -يا راعي- إذْ جادَ بها رَوْحُ بن زنباع![(٢)].

□ وقيل لأبي مسلم الخولاني [(٣)]: «قد رققتَ وكبرتَ، فلو رفقتَ بنفسك. فقال: إن الخيل إذا أرسلت للحلبة قيل: تأنَّوا بها أو ترفقوا بها. فإذا رأيتم الحلْبة فلا تستبقوا منها شيئًا.. فدعوني»[(٤)].

□ وعن سُحيم مولى بن تميم قال: «جلستُ إلى عامر بن عبد الله [(٥)] وهو يصلي، فجوَّز في صلاته، ثم أقبل عليَّ فقال: أرحني بحاجتك فإني

---

(١) روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي، أبو زرعة. أمير فلسطين، وسيد اليمانية في الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها. قيل: له صحبة. كان عبد الملك ابن مروان يقول: جمع روح طاعة أهل الشام، ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز. وله مع عبد الملك وغيره أخبار. ت ٨٤هـ. «الأعلام» (٣/ ٦٣).

(٢) هو عبد الله بن ثُوَب الخولاني. فقيه عابد زاهد. نعته الذهبي بريحانة الشام. أصله من اليمن. أسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يَرَه، فقدم المدينة في خلافة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وهاجر إلى الشام. انظر «حلية الأولياء» (١٢٢/٢).

(٣) «قصر الأمل» (ص١٣٠).

(٤) عامر بن عبد الله، المعروف بابن عبد قيس العنبري. تابعي من بني العنبر. ذكر أبو نعيم أنه أوّل من عُرِف بالنُّسْك، واشتُهر من عُبَّاد التابعين بالبصرة، وكان ممن تخرَّج على أبي موسى الأشعري في النسك والتعبّد، ومنه تلقّن القرآن. «حلية الأولياء» (٢/ ٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢/ ٩٤).

(٥) «قصر الصلاة» (ص١٠٢ ـ ١٠٣)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨).

أبادر! قلت: وما تبادر؟ قال: ملكَ الموت، رحمك الله! قال: فقمتُ عنه، وقام إلى صلاته»[١].

□ ومَرَّ داود الطائي، فسأله رجلٌ عن حديث، فقال: دَعْني، فإني إنما أبادر خروج نفسيْ».

□ وكان أبو معاوية الأسود يقول: «إن كنت يا أبا معاوية [٢] تريد لنفسك الجزيل، فلا تنامنَّ الليل ولا تقيل. قدِّم صالح الأعمال، ودع عنك كثرة الأشغال. بادر ثم بادر قبل نزول ما تُحاذر. ولا تهتمَّ بأرزاق من تَخَلَّف، فلستَ أرزاقَهم تُكَلَّف»[٣].

□ وقال بشر بن عبد الله النهشلي: «دخلنا على أبي بكر النهشلي [٤] وهو في الموت، وهو يومئ برأسه -يرفعه ويضعه- كأنه يصلي، فقال له بعض أصحابه: في مثل هذه الحال رحمك الله؟ قال: إنني أبادر طيَّ الصحيفة!»[٥].

---

(١) «قصر الأمل» (ص١٠٣)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨).

(٢) اسمه اليمان: نزل طَرَسوس، وكان يغزو. قال: الخلق كلهم، بَرُّهم وفاجرهم يسعون في أقل من جناح ذباب! فقال له رجل: ما أقل من جناح ذباب؟ قال: الدنيا. وصفه أبو نعيم بقوله: «المعرض عن الأرذل، الباحث على الأفضل». ولا يُعرف له مسند. المصدران التاليان.

(٣) «حلية الأولياء» (٨/ ٢٧٢)، «صفة الصفوة» (٤/ ٢٧١- ٢٧٢)، في حديث طويل، و«قصر الأمل» (ص١٠٣).

(٤) اختلف في اسمه واسم أبيه. قال عبد الرحمن بن مهدي: من ثقات مشيخة الكوفة. وقال أبو حاتم: شيخ صالح يُكتب حديثه. ت ١٦٦هـ. «تهذيب الكمال» (٣٣/ ١٥٦).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٣٣)، و«قصر الأمل» (ص١١٣).

فَرَحِم الله امرءً نظر لنفسه، فبادر فوْقها قبل أن ينزل الموت بها.

□ وعن الحجَّاج بن محمد قال: «كتبَ إليَّ أبو خالد الأحمر [١]، فكان في كتابه: إن الصدِّيقين كانوا يستحيون من الله ﷻ أن يكونوا اليومَ على منزلةِ أمس!»[٢].

□ وخرج محمد بن النضر الحارثي[٣] إلى عبَّادان ومعه ابن المبارك، وحفص[٤]، وأبو أسامة[٥]. فوضعوا الطعام ليتغدَّوا، فقال لمحمد بن النضر: تغدَّ. فقال: إني صائم. قال ابن المبارك: فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، أليس قد جاء: «**ليس من البرِّ الصيام في السفر**»[٦]؟ قال: بَلَى، ولكنها المُبَادَرة».

□ وعن محمد الباقر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم].

---

(١) أبو خالد الأحمر هو سليمان بن حيّان الأزدي. ثقة ١٨٩هـ انظر «تهذيب الكمال» (١١/ ٣٩٤).

(٢) «حلية الأولياء» (١٠/ ١٤٢)، و«قر الأمل» (ص١٢٦).

(٣) من أعبد أهل الكوفة. وقد انشغل بالعبادة عن الرِّواية. قال ابن المبارك: كان محمد بن النَّضْر إذا ذُكِر الموت اضطربت مفاصله حتىٰ تبين الرَّعْدَة فيها انظر «صفة الصفوة» (٣/ ١٥٩ - ١٦٠).

(٤) يبدو أنه حفص بن حُمَيد المروزي الأُكافي العابد، فقد روىٰ عن ابن المبارك.

(٥) هو حمّاد بن أسامة بن زيد القرشي، أبو أسامة الكوفي. قال الإمام أحمد: أبو أسامة ثقة، كان أعلم الناس بأمور الناس، وأخبار أهل الكوفة. وقال: كان ثبتًا، ما كان أثبته، لا يكاد يُخطئ.

(٦) رواه البخاري وأحمد، ومسلم، وأبو داود،والنسائي عن جابر. ورواه ابن ماجه عن ابن عمر..

قال: «النَّفَس»[(١)].

□ وعن أبو بكر بن عيَّاش في قوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ۝٢٦﴾ [المطففين] قال: «فلْيبادر المبادرون»[(٢)].

□ وقال المنذر أبو يحيى: سمعت مالكَ بن دينار يقول لنفسه: «ويحكِ! بادري قبل أن يأتيك الأمر! ويحكِ بادري قبل أن يأتيك الأمر! ويحكِ بادري قبل أن يأتيك الأمر!

قال: فسمعته يقول ذلك ستين مرة»[(٣)].

□ وقال عمر بن ذر: قرأتُ كتاب سعيد بن جبير إلى أبي -عمر-: «كلُّ يوم يعيشُه المؤمن غنيمة»[(٤)].

□ وكتب رجل من العرب لابنه -وكان أفسدَ مالًا له في الباطل-: «أَيْ بني! لا الدهر يعظُك، ولا الأيام تزجرُك، والساعات تُعَدُّ عليك، والأنفاس تُعَدُّ منك! أحبُّ أمريك إليك أرجعهما المضرة عليك»[(٥)].

□ وقال خُلَيْد العَصَري[(٦)]:

---

(١) «قصر الأمل» (ص١٢٦- ١٢٧)، وانظر «صفة الصفوة» (٣/ ١٥٩).

(٢) «قصر الأمل» (ص١٠٥).

(٣) «قصر الأمل» (ص١٠٥- ١٠٦)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨).

(٤) «تهذيب الكمال» (١٠/ ٣٦٦)، و«قصر الأمل» (ص١٠٦).

(٥) «قصر الأمل» (ص١٠٧).

(٦) هو خليد بن عبد الله العَصَري البصري، أبو سليمان، و«عَصَر» بطن من عبد قيس. وصفة أبو نعيم بقوله: «كان لمحبوبه ذاكرًا، وإلى مشاهدته ساهرًا». وكان يصوم الدهر. من أقواله: «المؤمن لا تلقاه إلا في ثلاث خلال: في مسجد يعمره، أو بيت يستره، أو حاجة من أمر دنيا لا بأس بها». ذكره ابن حبان في كتاب
=

كلُّنا قد أيقن بالموت، وما نرى له مستعدًا!

وكلُّنا قد أيقن بالجنة، وما نرى لها عاملًا!

وكلُّنا قد أيقن بالنار، وما نرى لها خائفًا!

فعلامَ تعرِّجون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت؟ فهو أول واردٍ عليكم من الله، بخير أو بشرٍّ! يا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرًا جميلًا»[1].

□ وكان عبد الله بن يزيد المُقريء[2] يقول: «إني لأغتنم النصيحة مخافةَ أن تَفوتني»[3].

هذا العبد الصالح مولى آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان ابن المبارك إذا سُئِل عنه يقول: «زَرْزَدَه»: يعني ذهبًا مضروبًا خالصًا.

□ قال رحمه الله: «أنا ما بين التسعين إلى المئة، وأقرأتُ القرآنَ بالبصرة ستًّا وثلاثين سنة، وها هنا بمكة خمسًا وثلاثين سنة».

□ وقال محمد بن مطرف بن داود: «دخلنا على أبي حازم الأعرج[4] لمَّا

الثقات. وروى له مسلم حديثًا، وأبو داود آخر. «حلية الأولياء» (٢/ ٢٣٢)، «تهذيب الكمال» (٨/ ٣٠٩).

(١) «قصر الأمل» (ص١٠٩ - ١١٠)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٣١).

(٢) انظر «تهذيب الكمال» (١٦/ ٣٢٠).

(٣) «قصر الأمل» (ص١٠٨).

(٤) هو سلمة بن دينار المديني، الأعرج، أبو حازم. مدني ثقة. قال له رجل: إنك متشدِّد! فقال: وما لي لا أتشدَّد وقد ترصدني أربعة عشر عدوًا! أما أربعة: فشيطان يفتنني، ومؤمن يحسدني، وكافر يقتلني، ومنافق يبغضني. وأما العشرة، فمنها الجوع والعطش والحَرُّ والبرد والعري والهرم والمرض والفقر والموت والنار؛ ولا أطيقهن إلا بسلاح تام، ولا أجد لهن سلاحًا أفضل من التقوىٰ. ومن =

حضره الموت، فقلنا: يا أبا حازم، كيف تجدك؟ قال: أجدني بخير. أجدني راجيًا الله، حسن الظن به. ثم قال: إنه والله ما يستوي من غدا وراح يَعْمُر عقد الآخرة لنفسه فيقدِّمَها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا وراح في عقد الدنيا يَعْمُرها لغيره ويرجع إلى الآخرة لا حظَّ له فيها ولا نصيب!»(١).

□ وكان صالح بن بشير يتمثَّل هذا البيت في قصصه:

وغائبُ الموت لا ترجون رجعته إذا ذوو سفرٍ من غيبةٍ رجعوا

□ قال: ثم يبكي ويقول: «هو والله السفر البعيد، فتزودوا لمراحله، فإن خير الزاد التقوى».

واعلموا أنكم في مثل أمنيتهم، فبادِروا الموت، فاعلموا له قبل حلوله». ثم بكى(٢).

□ وكان حسانُ بن أبي سِنان يقول: «بادر انقطاعَ عملك، فإن الموت إذا جاء انقطع البرهان»(٣).

□ وعن عكرمةَ مولى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣)﴾ [سبأ]. قال: إذا قيل لهم توبوا، قالوا: سوف.

أقواله: إذا رأيتَ الله عز وجل يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره. ت ١٣٥ هـ. التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم للمقدمي (ص٦٩)، «حلية الأولياء» (٣/ ٢٩٩)، «صفة الصفوة» (٢/ ١٥٦).

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ٢٤١- ٢٤٢)، و«قصر الأمل» (ص١١٠- ١١١).

(٢) «حلية الأولياء» (٦/ ١٦٨)، و«قصر الأمل» (ص١١١).

(٣) «قصر الأمل» (ص١١١- ١١٢).

□ وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: «والله ما هي إلَّا الآخرة، ألا فاعلموا الخير ما دُعيتم إليه، ولا تغرَّنكم الدنيا والمهلةُ فيها، فعن قليلٍ تُنقلون إلى غيرها، توشكون. فالله الله! على الله في أنفسكم، فبادروا بها الموت قبل حلول الموت، فلا يطولُ بكم الأمد فتقسو قلوبكم». ثم نَحب وهو على المنبر[1].

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لقد نغَّص هذا الموتُ على أهل الدنيا ما هم فيه من غضارة[2] الدنيا وزينتها، فبينما هم فيها كذلك وعلى ذلك، أتاهم حياضُ[3] الموت فاخترمهم[4]. فالويلُ والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت ويذكره في الرخاء، فيقدم لنفسه خيرًا يجده بعدما فارق الدنيا وأهلها.

قال: ثم غلبه البكاء فقام»[5].

□ قال الربيع بن برة -الربيع بن عبد الرحمن-: «عجبتُ للخلائق كيف ذُهبوا عن أمرٍ حقٍّ تراه عيونهم، وتشهدُ عليه معاقدُ قلوبهم، إيمانًا وتصديقًا بما جاء به المرسلون؛ ثم ها هم في غفلة عنه، سكارى يلعبون!»[6].

□ وقال بعضُ الخلفاء على المنبر: «اتقوا الله -عبادَ الله- ما استطعتم،

---

(١) «قصر الأمل» (ص١١٢).

(٢) أي: نعيم الدنيا.

(٣) حياض الموت: دائرته جمع حوض. يُقال: حوّض حوله: إذا دار.

(٤) أي: أخذهم.

(٥) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٦٤)، و«قصر الأمل» (ص١٠٠- ١٠١).

(٦) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩٧)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٥٣)، و«قصر الأمل» (ص١١٤).

وكونوا قومًا صيح بهم فانتبهوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا.

واستعِدُّوا للموت فقد أظلَّكم، وترحَّلوا فقد جُدَّ بكم.

وإن غايةً تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة.

وإن غائبًا يجدُّ به الجديدان: الليلُ والنهار، لحريٌّ بسرعة الأَوْبة.

وإن قادمًا يحلُّ بالفوز أو الشِّقوة لمستحقٌّ لأفضل العُدَّة.

فالتقيُّ عند ربِّه مَنْ ناصح نفسه، وقدَّ توبته، وغلب شهوته. فإن أَجَله مستورٌ عنه، وأمله خادعٌ له، والشيطان موكَّل به يمنِّيه التوبة ليسوِّفها، ويزيِّن إليه المعصية ليرتكبها، حتى تهجم منيَّتُه عليه أغفلَ ما يكون عنها.

وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلَّا الموت أن ينزل به!

فيا لها حسرةً على كلِّ ذي غفلةٍ، أن يكون عمره عليه حجة، وأن تُرْديه أيامه إلى شقوة.

جعلنا الله وإياكم ممَّن لا تُبطِرُه نعمة، ولا تُقصِّرُ به عن طاعة الله معصية، ولا يَحِلُّ به بعد الموت حسرة. إنه سميع الدعاء، وإنه بيده الخير، وإنه فعَّال لما يشاء»[1].

□ وكان عونُ بن عبد الله يقول: «اليوم المضمار، وغدًا السِّباق، والسَّبقة الجنة، والغاية النار. فبالعفو تنجُون، وبالرحمة تدخلون، وبالأعمال تقتسمون المنازل»[2].

---

(١) «قصر الأمل» (ص١١٤ - ١١٥)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٩).

(٢) «حلية الأولياء» (٤/ ٢٦٤).

□ وعن عثمان بن زائدة قال: قال لقمان لابنه: «يا بُنَيَّ، لا تُؤخِّر التوبة، فإن الموت يأتي بغتة!»(١).

□ وكان الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «يا معشرَ الشباب! إيَّاكم والتسويف: سوف أفعل، سوف أفعل»(٢).

□ وقال محمد بن الحارث: «رأيتُ الحسنَ صلى على جنازة، فكبَّر عليها أربعًا، ثم اطَّلع في القبر فقال: يا لها من عِظَة! يا لها من عِظَة -ومدَّ صوته بها- لو وافقت قلبًا حيًا.

ثم قال: إن الموت فضح الدنيا، فلم يدع لذي لُبٍّ فرحًا. فرحم الله امرءً أخذ منها قُوْتًا مُبْلِغًا، وهضم (٣) الفضل ليوم فقره وحاجته، فكأن ذلك اليوم قد أظلَّكم!»(٤).

□ وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «منع البرُّ النوم، ومن يخف يُدلج»(٥).

□ وقال: «يا ابن آدم! إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بِغد»(٦).

□ وكتب رجلٌ من الحكماء إلى أخ له: «أخي، إياك وتأميرَ التسويف على نفسك وإمكانَه من قلبك، فإنه محلُّ الكَلال (٧)، وموئلَ المُلال، وبه

(١) «قصر الأمل» (ص١٢٢)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٢١).
(٢) «قصر الأمل» (ص١٤٢).
(٣) أي: ترك.
(٤) «الزهد الكبير» للبيهقي رقم (٥٥٤) (ص٢١٧)، و«الزهد» لأحمد (٢/ ٢٢٦)، و«قصر الأمل» (ص١٤٥)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٥٦).
(٥) «قصر الأمل» (ص١٤٦).
(٦) المصدر السابق (ص١٤٤).
(٧) أي: الملل.

تُقطع الآمال، وبه تنقضي الآجال، وأنت -أي أخي- إن فعلت ذلك أدلتَ من عزمك [(١)]، فاجتمع وهواك [(٢)] عليه فَعَلاه، واسترجعا من يديك من السآمة ما قد ولَّى عنك، ونَفَاه من جوارحك الحزن والمخافة، وأوثقه الشوقُ والمحبة، فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسك من يديك بنافعة، ولا تجيبك إلى نفعٍ جارحةٌ.

أي أخي! فبادر، ثم بادر، فإنك مُبَادَرٌ بك. وأسرِع، فإنك مسروعٌ بك. وكأن الأمر قد بَغَتك، فاغتبطتَ بالتسرُّع، وندمت على التفريط، ولا قوة بنا وبك إلَّا بالله» [(٣)].

□ وعن ميمون بن مهران أنه قال: «دخلتُ على عمر بن عبد العزيز يومًا وعنده سابق البربري الشاعر [(٤)] وهو ينشد شعرًا، فانتهى بشعره إلى هذه الأبيات:

وكم من صحيحٍ باتَ للموتِ آمنًا ... أتتـهُ المنايـا بغتـةً بعـدما هَجَـعْ

ولم يـستطعْ إذ جـاءه المـوت بغتـةً ... فـرارًا ولا منـه بقوَّتـه امتَنَـعْ

فأصـبح تبكيـه النـساء مقنَّعًـا ... ولا يسمعُ الداعي وإن صوتَه رَفَعْ

وقُـرِّب مـن لحـدٍ صـار مقيلَـهُ ... وفارق ما قد كان بالأمس قد جَمَعْ

---

(١) أي: نقلته من حال إلى حال.

(٢) يعني التسويف والهوىٰ.

(٣) «قصر الأمل» (ص١٤٢- ١٤٣).

(٤) هو سابق بن عبد الله البربريّ الرّقيّ أبو سعيد الشاعر. روىٰ عن مكحول وأبي حنيفة وغيرهما، وروىٰ عنه الأوزاعي والمعافي بن عمران. وهو أحد الزُّهاد المشهورين. وهو صاحب القصيدة التي فيها لسان الفتىٰ نصفٌ ونصفٌ فؤاده فلم يبق إلَّا صورة اللحم والدم انظر الوافي بالوفيّات للصفدي (١٥/ ٦٩).

ولا يــترك المــوتُ الغنــيَّ لمالــه ولا مُعْدَمًا في الحال ذا حاجة يَـدَعْ

قال: فلم يزل عمى رحمه الله يبكي ويضطرب، حتى غُشي عليه»[1].

□ وكتب سالم بن عبد الله بن عمر إلى عمر بن عبد العزيز في رسالة له طويلة منها: «أما بعد، فإن الله عز وجل وتقدَّس، خَلَق الدنيا لما أراد، وجعل لها مدَّة قصيرة، فكان ما بين أولها إلى آخرها ساعة من النهار، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)﴾» [القصص][2].

□ وقال رجلٌ من العرب لابنه: «أيْ بني، إنه من خاف الموت بادر الفوْت. ومن لم يَكبحْ نفسه عن الشهوات، أسرعت به التَّبِعات. والجنة والنار أمامك»[3].

حياتُــكَ أنفــاسٌ تُعَــدُّ فكُلَّــمَا مضى نَفَسٌ منها انتقصتَ به جُزْءا

فتُـصبِحُ في نقْـصٍ وتُمْـسِي بمثلِـهِ فما لـك معقـولٌ تِحُسُّ بـه الـرُّزْءا

يميتُكَ مـا يُحييك في كـل سـاعةٍ ويحدُوكَ حادٍ لا يُريـدُ بـك الهُـزْءا

□ وما أجمل قول القائل:

عمـرٌ ينقـضي وذنـب يزيـد ورقيـب محـضر علـيَّ شـهيدُ

واقـترابٌ مـن الحِـمام وتـأ ميلٌ لطول البقا عـصر جديـد

---

(١) «الزهد الكبير» للبيهقي رقم (٦٨٨) (ص٢٦٣)، و«قصر الأمل» (ص١٢٢-١٢٣).

(٢) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٨٤)، و«قصر الأمل» (ص١٢٥).

(٣) «الزهد الكبير» للبيهقي رقم (٣٨٢) (ص١٦٧).

أنـــا لاهٍ وللمنيـــة حـــتمٌ حيث يممتُ منهلٌ مـورود
كـلَّ يـوم يمـوت منـي جـزءٌ وحيـــاتي تـــنُّسٌ معـــدود
كـم أخٍ قـد رُزئتُـه فهـو وإن أضحى قريب المحلِّ مني بعيد
خَلَـسَتْهُ يـدُ المنـون فـما لي خَلَفٌ منه في الـورى موجـود
كـان لي مؤنـسًا فغـودر في نهار عقيم صفيحه منـضود [(١)]

□ ولله در القائل:

رأيتك في النقصان مذْ أنت في المهدِ تقرِّبك الساعاتُ من ساعة اللحدِ
ستضحك سنٌّ بعد عين تعصَّرتْ عليك وإن قالت بكيت من الوجدِ
أتطمـع أن شـيخًا لفقـدك فاقـد لعـل سرورَ الفاقـدين مـع الفقـد

ومِن عُلُوِّ همتِّهم وقصر أملهم تغافلهم عن البناء وذمهم له:

• عن أبي الدرداء ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عريشًا كعريش موسى، ثُمامٌ وخُشَيْبَاتٌ؛ والأمرُ أعجل من ذلك**»[(٢)].

وذلك حين بنى المسجد، وأعانه عليه أصحابه.

وقيل للحسن: وما عريش موسى؟ قال: إذا رفع يدَه بلغ العرش. يعني السقف. وورد بلفظ: «**عَرْشٌ كعرْش موسى**»[(٣)].

---

(١) الصفيح: وجه كل شيء عريض.

(٢) حسن: أخرجه المخلص في «فؤاده» وابن النجار، والضياء في «المختارة»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٦١٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٠٠٧).

(٣) مرسل صحيح: رواه البيهقي في سننه عن سالم بن عطية مرسلا. انظر: «صحيح الجامع» (٣٩٩٨).

• وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كل معروفٍ صدقة، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله كُتِبت له صدقة، وما وقى به الرجلُ عِرْضَه كُتبت له صدقة، وما أنفق من نفقةٍ فعلى الله خَلَفُها، إلَّا ما كان في بنيانٍ أو معصية**»[1].

• وقد مرّ من قبل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «مرَّ النبي ﷺ وأنا أبني خُصًّا فقال لي: «**يا عبدَ الله بن عمرو ما هذا؟ إن الأمر أسرع من ذلك**»[2].

□ وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «بنيتُ بناءً بيدي على عهد رسول الله ﷺ يكنُّني من المطر ويظلُّني من الشمس، ما أعانني عليه أحد».

□ وعن داود بن قيس الفرَّاء الدبَّاغ: «رأيت الحُجرات من جريدٍ مغشَّى من خارج بمُسوح الشَّعر[3]. وأظن عرضَ الحجرةِ من باب الحجرة إلى باب البيت نحوًا من ست أو سبع أذرع. وأُحزِّر البيت الداخل عشر أذرع، وأظن سمكه بين الثمان والسبع ونحو ذلك.

---

(١) صحيح لغيره؛ رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ٢٤٢)، وفي «شعب الإيمان»، ورواه بلفظ البيهقي في «سننه» الدارقطني في «سننه»، والبغوي في «شرح السُّنَّة» رقم (١٦٤٦) (٦/ ١٤٦)، وقال محققه: عبد الحميد بن الحسن الهلالي مختلَفٌ فيه، ضعَّفه ابن المديني وأبو زرعة والدارقطني، ووثَّقه ابن معين، وقال أبو حاتم: شيخ.. وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٠)، وصححه، وردَّه الذهبي بأن عبدالحميد ضعَّفوه، ثم قال المحقِّق: لكن للحديث شواهد كثيرة يتقوَّىٰ بها، فهو صحيح لغيره.

(٢) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤١٦٢) (٢/ ١٣٩٢).

(٣) مُغَشَّي: مُغَطيٌّ. المُسُوح: جمع مِسْح، الكساء مِن الشَّعْر.

قال: ثم وقفت على باب عائشة، فإذا هو مستقبل المغرب»[١].

□ وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كنت أَدخلُ بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان، فأتناول سُقُفها بيدي!»[٢].

□ وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «إنه من رأى محمدًا ﷺ فقد رآه غاديًا ورائحًا، لم يضع لِبَنَة على لَبنة، ولا قَصَبةً على قَصَبة، ولَكَنْ رُفِع له عَلَمٌ فشمَّر إليه. الوَحَاءُ الوَحاء[٣]، النَّجاء النَّجاء! علامَ تُعَرِّجون؟

أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معًا!

رحم الله عبدًا جعل العيش عيشًا واحدًا، فأكل كسرة، ولبس خَلَقًا ولزق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة، وابتغى الرحمةَ، حتى يأتيه أجله وهو على ذلك[٤].

□ وعن قيس بن أبي حازم: «أتينا خبَّابَ بن الأرت وهو يبني حائطًا فقال: إن المسلم يُؤْجَر في كل شيءٍ إلَّا شيئًا يُنفقه في التراب. ولولا أن النبيَّ ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوتُ به»[٥].

□ وعن أبي المهاجر الرَّقي[٦] قال: «لبث نوحٌ في قومه ألفَ سنةٍ إلَّا

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٤٥١) (ص١٦٠- ١٦١).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٤٥٠) (ص١٦٠).

(٣) الوَحَاء الوَحَاء، أي البِدار البِدَار. والنَّجاء: مصدر نجا، بمعنى الإسراع.

(٤) «قصر الأمل» (ص١٢١- ١٢٢) و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٩)، وانظر «الحلية» (٣/ ١٤٩)، (٣/ ١٥٤).

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» (٧/ ١٠)، وفي «الأدب المفرد» (٤٥٥) (ص١٦١- ١٦٢)، وابن ماجه رقم (٤١٦٣) (٢/ ١٣٩٤).

(٦) هو سالم بن عبد الله الجزري الرقي. قال الإمام أحمد: ثقة في الحديث.. كان =

خمسين عامًا في بيت شَعْر. فقيل له: يا بني الله ابن بيتًا! فيقول: أموت اليوم، أموت غدًا!!»[١].

□ وعن وُهَيب بن الورد [٢] قال: ابتنى نوحٌ عليه السلام بيتًا من قصب، فقيل له: لو بنيتَ غير هذا؟ قال: هذا كثيرٌ لمن يموت»[٣].

□ قال ثابت البناني: «بنى أبو الدرداء مسكنًا قَدْرَ بسطة، فمرَّ به أبو ذر فقال: ما هذا؟ دارًا قد أذن الله في خرابها؟ لأن أمرَّ بك متمرِّغًا في عَذِرَةٍ أحبُّ إلي من أن أراك في هذا!»[٤].

□ وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لأهل دمشق: «يا أهلَ دمشق، أنتم الإخوان في الدين، والجيرانُ في الدار، والأنصارُ على الأعداء، ما يمنعكم من مودتي وإنما مؤنتي على غيركم؟ ما لي أرى علماءكم يذهبون وجُهَّالكم لا يتعلّمون؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تُكُفِّل لكم به وتركتم ما أُمِرتم به؟ ألا إن قومًا بنوا شديدًا، وجمعوا كثيرًا، وأَمَّلُوا بعيدًا، فأصبح بنيانهم قبورًا، وأملهم غرورًا، وجمعهم بورًا. ألا فتعلمّوا، فإن العالم والمتعلم في الأجر

رجلاً صالحًا.

(١) «قصر الأمل» (ص١٦٥).

(٢) وهيب بن الورد القرشي، أبو عثمان. ذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال: كان من العبَّاد المتجردين لترك الدنيا والمنافسين في طلب الآخرة.
وقال إدريس بن محمد الرُوذي: ما رأيت رجلاً أعبدَ منه. وعن محمد بن يزيد ابن خنيس أن الثوري كان إذا حدَّث الناسَ وفرغ من الحديث قال: قوموا بنا إلى الطبيب، يعني وهيب بن الورد. ت ١٥٣هـ. «تهذيب التهذيب» (٣١/ ١٦٩).

(٣) «حلية الأولياء» (٨/ ١٤٥)، و«قصر الأمل» (ص١٦٦).

(٤) «قصر الأمل» (ص١٦٨).

سواء، ولا خير في الناس بعدهما»[(١)].

□ وقال سفيان الثوري: «ما بنى عليٌّ رضي الله عنه آجُرَّةً على آجُرَّة، ولا قصبةً على قصبة»[(٢)].

□ وعن ابن أبي الهذيل قال: «بنى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بيتًا في داره، فدعا عمّار بن ياسر رضي الله عنهما، قال: كيف ترى؟ قال: بنيتَ شديدًا، وأمّلت بعيدًا، وتموتُ قريبًا»[(٣)].

□ وعن عبد الرومي قال: «دخلتُ على أم طلْق [(٤)]، فرأيت سقفَ بيتها قصيرًا، فقلت لها: يا أم طلق، ما لي أرى سقف بيتك قصيرًا؟ قالت: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلينا: لا تطيلوا بناءكم، فإنه من شرِّ أيامكم»[(٥)].

□ وقال مسروق: «كل شيء يُؤجر فيه المؤمن إلّا ما كان في التُّراب».

□ وقال حذيفة لسلمان: «ألا نبني لك مسكنًا يا أبا عبد الله؟ قال: لِمَ؟ لتجعلني ملكًا؟ أو تجعل لي بيتًا مثل دارك التي بالمدائن؟ قال: لا، ولكن نبني لك بيتًا من قصب، وسقفه بالبَرْدي، إذا قمتَ كاد أن يصيب رأسك، وإذا نمتَ كاد أن يمسَّ طرفيك! قال: كأنك كنتَ في نفسي!»[(٦)].

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٢١٣).

(٢) «قصر الأمل» (ص١٧٧).

(٣) «حلية الأولياء» (١/ ١٤٢).

(٤) أورد ابن الجوزي أخبارها في «صفة الصفوة» (٤/ ٣٧).

(٥) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (ص١٦١) رقم (٤٥٢) وذكر ابن رجب قو عمر في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨٦).

(٦) «حلية الأولياء» (١/ ٢٠٢).

□ وقال رستم أبو يزيد: «كنتُ جالسًا عند الحسن، فأتاه رجل فقال: يا أبا سعيد، إني قد بنيتُ دارًا، فلو جئتَ معي فنظرتَ إليها، ودعوتَ لي بالبركة. قال: فقام الحسن، وقمنا معه. فلما نظر إلى الدار قال: غرَّكَ أهلُ الأرض، ومقتكَ أهلُ السماء، وأخربتَ دارك، وبنيتَ دار غيرك. قال: ثم رجع، ورجعنا معه. فلمَّا انتهينا إلى منزله، إذا جانب حائطه مائل! فقال له بعضُ القوم: يا أبا سعيد، لو بنيتَ هذا قبل أن يخرَّ؟ فقال: هيهات هيهات! الأمر أعجل من ذلك!»[1].

□ وعن محمد بن ذَكْوان قال: «ازدحمنا على درجةِ الحسن -وكانت رثَّة-، فانتهوا إلى ابنه، فقال: مه يا بني. قال: فدخلنا عليه، فملأنا سطحه، فقال: أحسنوا ملامكم إنها المأزور. ثم قال: لولا أنه قد حان إلى الآخرة انتقال، ومن الدنيا ارتحال، لجدَّدنا لكم البناء، شوقًا إلى حديثكم، وحرصًا على لقيكم. وما على البناء شفقنا، ولكن عليكم، فاربعوا على أنفسكم»[2].[3].

خرجنا مع الحسن، فنظر إلى بعض بناء المهالبة[4] فقال: يا سبحان الله! رفعوا الطين ووضعوا الدِّين. ركبوا البراذين[5] واتخذوا البساتين وتشبَّهوا بالدهاقين[6]! فذرهم فسوف يعلمون[1].

---

(١) «قِصر الأمل» (ص١٩٤).
(٢) أي تمكَّثوا وانتظروا.
(٣) «قصر الأمل» (ص١٩٤- ١٩٥).
(٤) نسبة إلى المهلَّب بن أبي صفرة. كان قد ولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير.
(٥) جَمْع بِرْذَون: يُطلَق على غير العربي من الخيل والبغال.
(٦) جمع دُهتان: وهو التاجر، ويُطلق على رئيس الإقليم أو القرية.

□ وانظر إلى ضيغم بن مالك كيف يستمطرُ الدَّمع: مالك بن ضيغم الراسبي قال: «أخذ بشر بن منصور [٢] بيد ضيغم ليريه منزلًا له أَحْدَثَهُ، فقال له ضيغم: يا بشر، بيتُكَ الذي تُغْسَلُ فيه أين هو من الدار؟

قال: فبكى بشر [٣]..

بَنَوْا مقاصيرَ في الدنيا مُشَيَّدَةً ... فمن لهم بخلودٍ في المقاصيرِ

ثم انتقلوا إلى الحُفر:

كان في دارٍ سواها دارُه ... عَلَّلَتْهُ المُنى ثم انتقلْ

لم يُمَتَّعْ بالذي كان حوى ... من حُطامِ المالِ إذْ حلَّ الأَجَلْ

إنما الدنيا كفيءٍ زائل ... طلعتْ شمسٌ عليه فاضمحلْ!

□ وما أوعظ قول القائل:

رُبَّ قومٍ رأيتهم ... ليس في عيشهم كدر

في رياض سماؤها ... تمطر السؤل بالدُّرر

ليس يخشون حاذرًا ... قد نأى عنهم الحَذَر

أوطنوا منزل الغرو ... رِ وساعدهم القَدَر

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر].

(٢) بشر بن منصور السلمي البصري، أبو محمد. قال فيه الإمام أحمد: ثقة ثقة وزيادة. وقال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيتُ أحدًا أُقدِّمه في الرِّقة الورع على بشر بن منصور. وكان قد صيرَّ الليل أثلاثًا: ثلثًا يصلي، وثلثًا يدعو، وثلثًا ينام. ت ١٨٠هـ. «تهذيب الكمال» (٤/ ١٥١).

(٣) «قصر الأمل» (ص١٩٦).

في مقاصير تخدَّت وقبابٍ على السُّرر

وبساتين في المقاصير يضحكن بالزَّهَر

وحَوارٍ كأنهنَّ المصابيح والصُّوَر

بينها القوم يجتنون جَنَى اللهو والثَّمَر

صاحت الحادثاتُ فيهمُ بصوت له غِيَرَ [(١)]

فتولَّوا من القصور إلى مظلم الحُفَر

▫ ولله درُّ القائل:

قف بالقصور على دجلة حزينًا فقل أين أربابها؟

أين الملوك ولاةُ العهود رُقاةُ المنابر خطابها

تجيبك آثارهم عنهم: إليك، فقد مات أصحابها!

▫ وعن حبيب بن أبي ثابت [(٢)] قال: «مرَّ أبو الدرداء رضي الله عنه بقرية خَرِبة، فقال: يا خِربة أين أهلكِ؟ ثم يردُّ على نفسه: ذهبوا وبقيت أعمالهم» [(٣)].

▫ وقال عيسى بن سنان: «كان عمرُ بن عبد العزيز لا يبني بنيانًا وقال: سُنةُ رسول الله ﷺ خيرٌ من الدنيا وما فيها، لم يبنِ بنيانًا، ولم يضع

---

(١) غِيَر الدَّهر: أحواله وأحداثه.

(٢) حبيب بن أبي ثابت.. واسمه قيس -بن دينار الأسدي الكوفي. قال العجلي: ثقة، تابعي، وكان مفتي الكوفة قبل حماد بن أبي سلمة. وعن أبي يحيىٰ القتَّات قال: قدمت الطائف مع حبيب بن أبي ثابت وكأنما قدِم عليهم بنيٌ ت ١١٩. انظر «تهذيب الكمال» (٥/ ٣٥٨).

(٣) «الزهد والرقائق» لعبد الله بن المبارك رقم (٦٣٩) (ص٢٢٩).

لَبِنة على لَبِنة، ولا قصبة على قصبة»[١].

□ وكتب عديُّ بن أرطاة[٢] إلى عمر بن عبد العزيز في صُدوع في مسجد البصرة، فكتب إليه عمر: «إنك كتبت إليَّ في صدوع في مسجد البصيرة تستشيرني في بنيانها؛ فادعُ عدولًا من المسلمين من أهل الخير، فينظرون في تلك الصدوع، ولا تجاوزها إلى غيرها، فإني لم أجد للبنيان في مال الله حقًّا!»[٣].

□ وعن مالك بن يَخَامر السَّكْسَكي[٤]: «أن قومًا دخلوا عليه يعودونه، فقالوا: إن منزلك من المدينة موضع جيد، فلو رمَّمته؟ فقال: إنما نحن سَفْرٌ نازلون، نزلنا للمقيل، فإذا برد النهار وهبَّت الريح ارتحلنا؛ ولا أعالج منها شيئًا حتى أرحل منها»[٥].

□ وقيل لطاووس: «إن منزلك قد استرمَّ[٦]؟ قال: قد أمسينا»[٧].

✍ **أخي**: لا يطولَنَّ عليك الأمل، فيقسوا القلب وتُمنَع خير العمل، وكُن كَمنْ عاين ما أعدَّ الله من ثوابه وعقابه، واحذر خَطفات المنايا. فكن

---

(١) «قصر الأمل» (ص٢٠٨).
(٢) عامل عمر بن عبد العزيز على البصرة.
(٣) «قصر الأمل» (ص٢٠٨).
(٤) مالك بن يخامر -ويقال ابن أخامر- السكسكي الألهاني الحمصي يُقال له صحبة. ذكره ابن حبان في «الثقات». روى له الجماعة سوى مسلم. ت. ٧٠هـ وقيل: ٧٢هـ انظر «تهذيب الكمال» (٢٧/ ١٦٦).
(٥) «قصر الأمل» (ص٢٠٩).
(٦) أي: حَانَ له أن يُرَمَّ ودعا إلى إصلاحه.
(٧) «قصر الأمل» (ص٢١٠).

منتظرًا مثل حال من خلَا، ومتوقِّعٌ لنصيبك من البِلى، فوالله ما يقع طرفك إلَّا على منزل قد خلا ممن كان يسكنه..

ومُشيِّدٍ دارًا ليسكنَ دارَه سَكنَ القبور وداره لم يَسْكُنِ

أخي: بادر طيَّ صحيفتك.. بادرْ فإنه مُبَادَرٌ بك.

□ قال بُكَير بن عامر: «لو قيل لعبد الرحمن بن أبي نُعْم [(١)]: «قد توجَّه ملك الموت إليك يريد قبضَ روحك، ما كانت عنده زيادة على ما هو فيه!» [(٢)].

□ كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: «أما بعد، فكأنك بآخِرِ من كُتِب عليه الموت قد مات. فأجابه عمر بن عبد العزيز: أمَّا بعد، فكأنك بالدنيا لم تكُن، وبالآخرة لم تزَلْ» [(٣)].

□ ونختمُ بما قال بشر بن الحارث الحافي: «أمسِ قد مات، واليومَ في السياق، وغدًا لم يولد» [(٤)].

---

(١) عبد الرحمن بن أبي نُعْم البَجَلي، أبو الحكم الكوفي العابد. ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» وقال: كان من عُبَّاد أهل الكوفة ممن يصبر على الجوع الدائم، أخذه الحجاج ليقتله، وأدخله بيتًا مظلمًا، وسدَّ الباب خمسة عشر يومًا، ثم أمرًا بالباب ففتح ليُخرج فيدفن، فدخلوا عليه، فإذا هو قائم يصلي! فقال له الحجاج: سِرْ حيث شئت! انظر «تهذيب الكمال» (١٧/ ٤٥٦).

(٢) «قصر الأمل» (ص٢٠١).

(٣) «الحلية» (٥/ ٣٠٥).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٧٢).